معالم شاعرية "حسان"
بين الجاهلية والإسلام

بقلم الدكتور
محمود عبدالله محمد عطا الله
المدرس في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر – فرع إيتاى البارود

مقدمه

يعد الإسلام أكبر المؤثرات التي غيرت شكل العالم في كل صورة على الإطلاق ، فقد حدث ما يمكن أن نطلق عليه هجرة إلى بيئة أخرى حتى وان لم يتحقق الانتقال المكاني ، إذ أن البيئة العربية قد تغيرت معالمها الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وغدت النفسية العربية بعد الإسلام مختلفة تماما عما قبله ، الأمر الذي تغير على أثره وجه التاريخ .

وفى هذا البحث حاولت أن أقدم للقارئ صفحه واضحة عن أثر هذه الحياة الجديدة في الشعر العربي من حيث المضمون والشكل ، وكان ذلك من خلال إلقاء الضوء على النتاج الشعري لدى الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه – للوقوف على معالمه الفنية قبل الإسلام وبعده، وقد وقع اختياري على هذا الشاعر دون غيره لسببين الأول: أن حياته كما ورد في كتب التراجم – امتدت حوالي مائه وعشرين عاما ستون قضاها في الجاهلية وستون في الإسلام ، أما السبب الثاني : فهو أكثر الشعراء المخضرمين إنتاجا للشعر قبل الإسلام وبعده ، كما أنه أكثرهم ارتباطا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم سمى بشاعر الرسول .

وقد قمت بتقسيم البحث إلى خمسه فصول مسبوقة بتمهيد تناولت فيه الحديث عن نسب الشاعر ونشأته . فأما الفصل الأول : فهو

بعنوان ملامح أغراض الشاعر في الجاهلية ، والفصل الثـــاني: ملامح الأغراض الشعرية في الإســـلام ، والفصـــل الثالـــث : مصادر الصورة في شعر حسان، وجاء علـــى قســـمين الأول: مصادر الصورة في الشعر الجاهلي والثاني: مصادر الصـــورة في الشعر الاسلامى ، وفى الفصل الرابع تناولـــت خصـــائص المطلع في شعر حسان وجاء على قسمين ، الأول : خصـــائص المطالع في القصيدة الجاهلية ، والثاني : خصائص المطالع في القصيدة الاسلاميه ، أما الفصل الخامس : ففيـــه تناولـــت أثـــر القرآن الكريم والسنة النبوية في شعر حسان ثـــم اتبعـــت ذلـــك بخاتمه بأهم نتائج البحث .

تمهيد

- نسب الشاعر حسان بن ثابت ونشأته:-

أولا: نسبه: هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدى بن عمرو العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ابن حارثه الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبه البهلول بن مازن بن لأزد بن الغوث بن بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ([1])

ويكنى حسان بابن الفر يعة وهى نسبه إلى أمه ، فأمه هي : الفريعه بنت خنيسى بن لوزان بن عبدود بن ثعلبه بن الخزرج بن ساعده بن كعب بن الخزرج.

من خلال نسب حسان نجد أنه من بني النجار من قبيلة الخزرج ، وأنه يمان قحطانى ، وأنه يمت برحم إلى آل جفنه الفاسنة ملوك الشام والى الخمين ملوك العراق ، إذ أنهم جميعا من نسل عمرو بن عامر بن ماء السماء ([2])

---

١ ينظر سير أعلام النبلاء لمؤلفة شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي ج٢ / ٥١٢ ط٤ مؤسسة الرسالة١٤٠٩ه- ١٩٨٦ م ، وينظر ديوان حسان بن ثابت تحقيق د. سيد حنفى حسين / ٩ دار المعارف ١٩٧٣ .

٢ ينظر شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، عبد الرحمن البرقوقى/١٥ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠١ه -١٩٨١ م .

* ثانيا : النشأة والمولد:-

ولد حسان بن ثابت في منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادي ، وقد نشأ في المدينة المنورة ، وهى (يثرب) قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم – إليها بين قومه الخزرج والأوس ويهود المدينة ،وقد كان بين الأوس والخزرج سلسله حروب تكاد تكون متصلة الحلقات ومن أيامهم يوم بغاث ويوم سحيمه ويوم الربيع ويوم البقيع إلى سائر أيامهم ووقائعهم مما جاء ذكر أكثر في شعر حسان، قال بن سعد : عاش حسان ستين في الجاهلية وستين سنه في الإسلام ([1]) وقد كانت حياته في الجاهلية كثيرة التنقل والترحال حيث نزل كثيرا على ملوك الفاسنة والمناذرة فمدح ملوكها ونال من العطايا ، كما كان حسان من شعراء القبائل فلسانه طالما تحدث باسم القبيلة انتصارا لها وفخرا بها واعتزازا بنسبها وقد ظهر ذلك فى شعره بوضوح .

أما حياته في الإسلام فقد اختلفت تماما فأصبح ملازما للنبي – صلى الله عليه وسلم – يدافع بشعرة عنه – صلى الله عليه وسلم– وعن الإسلام ، وقد ذكر عز الدين بن الأثير فى كتابه أسد الغابة في معرفه الصحابة أن النبي– صلى الله عليه وسلم – نصب له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله

---

١ ينظر سير أعلام النبلاء/ج٢ / ٥١٢ .

– صلى الله عليه وسلم – ورسول الله صلى الله عليه وسلم – يقول : إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – وقد ورد أنه قال قائل لعلى بن أبى طالب – رضي الله عنه اهج القوم الـذين يهجوننـا ، فقـال: ان أذن رسول الله– صلى الله عليه وسلم – فعلت ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – إن عليا ليس عنده ما يراد من ذلك ، ثم قال : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله – صلى الله عليه وسـلم بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان : أنا لهمـا وأخـذ بطرف لسانه وقـال والله ما يسرني به مقـول بـين بصـري وصنعاء ، قال رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم – كيـف تهجوهم وأنا منهم ؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابـن عمـى ؟ فقال: يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجـين ، فقال : ائت أبا بكر فانه أعلم بأنساب القوم منك([1])

وهكذا أصبح حسان بن ثابت شاعر الرسول– صلى الله عليـه وسلم – وقد سجل في شعره الكثير من وقائع وأحداث تلك الدولة الاسلاميه ، كما سجل من قبل وقائع كثيرة عن حياة الجاهليـة ، فحياته إذا صورة للشاعر المخضرم استطاع أن يرسم من خلالها صورتين لعصرين مختلفين ، العصر الجاهلي وما يحتوى مـن

---

١ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير /ط/٤٨٢ ، دار الفكر ١٣٩٠ه .١٩٧٠م .

أحداث ومنازعات ، وعصر صدر الإسلام ومـــا يحتويـــه مـــن تشريعات وبناء وسوف تقوم هذه المدرسة عن شعر حسان مـــن خلال عرض للمعالم والملامح المميزة لكلا المرحلتين.

الفصل الأول
(ملامح الأغراض الشعرية في شعر حسان الجاهلي)

أولا : غرض الفخر :

تمثل الأغراض الشعرية للشاعر حسان بن ثابت في الجاهلية الحياة اليثربيه بكل ما فيها من خصائص ومعالم ، فتناول غرض الفخر .....

- وكان له النصيب الأكبر في شعرة- حيث افتخربالأباء والأجداد الأدنين والأقصبين ، كذلك ظهر في شعرة المفاخرات المستمرة بانتصارات قومه (الخزرج) ضد (الأوس) وهذا النوع من الشعر يظهر جليا أثر بيئة المجتمع الجاهلي في المضمون الشعري لدى حسان وما كان يدور بين القبيلتين من حروب ومنازعات قبل الإسلام ، ولم يكتف الأمر على ذلك بل امتد شعر حسان في الفخر بقومه إلى ظهور شعر المناقصات ، ثم تولد عن ذلك شعر الهجاء الذي عرف بصورة ساخرة وبعض الإقذاع .

وفيما يلي بعض النماذج الدالة على أثر هذه البيئة الجاهلية وما كان يدور فيها من أحداث دفعت الشاعر إلى المشاركة فيها

والتأثر بها ، ومن ذلك قوله مصورا رحى القتال الدائرة بين الأوس والخزرج يقول مفتخرا بقومه الخزرج :([1])

سأوتى العشيرة ما حاولت إلى وأكذب أيعادها
وأحمل إن معرم نابها وأضرب بالسيف من كادها
ويثرب تعلم أنا بها أسود تنفض ألبادها
نهز القنا في صدور الكما ة حتى نكسر أعوادها
وقال الحواضين للصالحين عاد له الشر من عادها
جعلنا النعيم وقاء النفو س وكنا لدى الجهل أعمادها
وفى كل يوم لنا غارة على الأوس نقتل أسادها
ترانا من البيض سفع الخدو د نلبس للحرب أسبادها

في الأبيات نلحظ ارتباط الشاعر بالقبيلة والفخر بها ، ففخره نابع من انتمائه لقبيلته ، وقوته مستمده من قوتها ، سواء كانت القبيلة على حق في حربها أوعلي باطل ، وهذا المفهوم عرف

١ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د. سيد حنفى حسنين/١٠٣ ، دار المعارف١٩٧٣ .

في الجاهلية ، وحكاه شعراء كثيرون ، ومشهور عنهم قول دريد بن الصمه :

هل أنا إلا من غزيه إن غوت غويت وان ترشد غزيه أرشد

ومن فخر حسان – أيضا بالحسب والنسب والعشيرة قوله ([1])

نسبى أصيل في الكرام ومذودي تكوى مواسمه جنوب المصطلي

وفتى يحب المجد يجعل ماله من دون والده وان لم يسأل

ولقد تعممني العشيرة أمرها فنطيق أمر المعضلات ونعتلى

ويسود سيدنا جحاجح ساده ويصيب قائلنا سواء المفصل

وتزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في العشيرة نعدل

في الأبيات نلحظ فخر الشاعر بنسبه ، وبمكانه قوله التي يحتلونها ، ثم نلحظ فخره بنفسه من بين العشيرة وذلك أثرا من حياته ومعيشته في الجاهلية فقد كان يتمتع بمنزله عاليه بين قومه .

ويقول مفاخرا بآ بائه وأجداده :([2])

---

١ ديوان حسان بن ثابت/١٢٥.

٢ ديوان حسان / ٢٧٧، وينظر المد ينه في العصر الجاهلي .د. محمد العيد الخطراوى/٢٣ مؤسسة علوم القرآن الكريم ط أولى ١٤٠٤هـ –١٩٨٤م .

أنـــا ابـــن خلـــده والأغ تـــر ومـــالكين وساعـــده

وســـراه قومـــك إن بعـــث ت لأهـــل يثـــرب ناشـــده

فســـعيت فـــي دور الظـــوا هـــر، والبـــواطن ، جامـــدة

فلتصبحـــن وأنـــت مـــــا ليقـــين علمـــك حـامـــدة

المطعمـــون إذا سنـــــو ن المحـــل تصـــبح راكـــدة

قمـــع التوامـــك فـــي جفـــا ن الحـــور تصـــبح جامـــدة

ويقول ردا على سؤال امرأة لحسان سألته فيه عن نسبه ، فرد قائلا :([1])

جـــدي أبـــو ليلـــى ووالـــده عمـرو وأخـواتي بنـو كعـب

وأنـــا مـــن القـــوم الذيـــن إذا أزم الشـتاء محـالف الجـــدب

أعطـى ذوو الأمـوال معسـرهم والضاربين بمواطن الرعـب

ومن شعره أيضا – قوله:([2])

إذا استـــدبرتنا الشمس درت متـوننا كأن عروق الجوف ينصحن عندمـا

---

١ ديوان حسان/١٩٤ .

٢ ديوان حسان/١٣٠ وينظر المدينة في العصر الجاهلي/٢٣ .

ولـــدنا بني العنقـاء وابني محـــرق فأكرم بنا خالا ، وأكـربنا ابنمـــا([1])

نســـود ذا المـــال القليـل إذا بـــدت مـروء ته فينـا وان كـان مصـرما

لنا الحفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيـافنا يقطـرن مـن نجـده دمـا

وأحيانا يخص حسان نفسه بالفخر ويرى في نفسه من صـــفات الأفضلين وعلو المكانة ما ليس لأحد من أقرانه يقول :([2])

فـإذا الحـوادث لا تضعضـعنى إذا لا يضيـق بحـاجتي صـدري

انـــى أكـــارم مـــن يكـــارمنى وعلـى المكاشـح ينتحـي ظفـري

يعـــي صفـــاتي مـن يـــوازننى انـــــى لعمـــرك لسـت بـــالهزر

لا أسـرق الشعـراء مـا نطقـوا إذ لا يخـــــالط شعـــرهم شـعري

أنـــى أبـــى لـــي ذلكـم حســـبي ومقـــــاله كمقـــــاطع الصـــخر

وأخـــي مـــن الجـن البصـير أذا حـــــاك الكـــــلام بأحســـن الحبـــر

في الأبيات نلحظ تعبير الشاعر في البيت الثـــاني عـــن حســـن المعاملة لمن يحسن إليه ، والإساءة لمن يسئ إليه، فهـــو يقابـــل

---

١ العنقاء: هو ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء،ومحرق: هو الحارث بن عمرو مزيقياء ، وكان أول من عاقب بالنار.

بنظر شرح ديوان حسان تصحيح عبد الرحمن البرقوقى /٤٢٤ بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٢ ديوان حسان/١٨٩ .

الحسنه بالحسنة والسيئة بمثلها ، وفى البيت الخامس نجدة يؤمن بوجود شيطان للشعر فهو الذي يوحى إلى الشعراء ما يقولــون من قصائد وهذه الفكرة عرفت في الجاهلية إلى حــد الاعتقــاد والجزم بها ، وان وجد هذا المعنى في العصر الاسلامى إلا أنه – في الغالب – على سبيل المحاكاة لما كان يردده القدماء

وأحيانا نجد حسان يموج في شعره بين الفخر بقومه وقوه بأسهم ، وبين شرب الخمر والعكوف عليها ، يقول:([1])

لا تعـدمي فينـا فتـى ماجـدا يضـرب بالسـيف تثبيـت المقـام
نشربها صـرفا وممــزوجة ثـم تغنــى فـي بيــوت الرخــام

ويقول في موضع آخر يمزج بين الفخر والحماسة ، بين الخمر والميسر ،يقول :([2])

وإنـــا إذا مـا الأفـق أمـس كـــأنما علـــى حـــافتيه ممسـيا لـــــون عنـدم

مطـاعيم بالمشـتى مطـاعين بالفتـا إذا الحـرب كانـت كـالحريق المصـرم

وتلقـى علـى أبياتنـا حـين نجتـدى مجـــالس فيهـا كـــل كهـــل معمـــم

رفيـــع عمـــاد البيـت يستر عرضـه مـــن الـــذم ميمـــون النقيبـة حضـــرم

ضـــروب بأعجـاز القـراع إذا شتـا ســـريع إلـى داعـي الهيـــــاج ملـــوم

---

١ ديوان حسان/١٨٧ .

٢ ديوان حسان /١٨٣ .

في الأبيات نلحظ المزج بين الفخر بالقوة والبأس والكرم ، وبين الفخر بالميسر وشرب الخمر ، كما في البيت الأخير ، فهو يقول : انه صاحب ميسر والميسر كان عندهم من مكارم فعالهم ([1])

وقد كانت الخمر– في نظر الشعراء في الجاهلية – من مصادر القوة وروافد العزة فهم يقدمونها في حديثهم عن الفخر والحماسة ، نجد ذلك في قصيده حسان التي هجا فيها أبا سفيان يقول:([2])

إذا ما الأشر بات ذكرن يوما فهن لطيب الراح الفداء

نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا القاء

في الأبيات نلحظ اهتمام الشاعر بالحديث عن الخمر في مطلع القصيدة حتى جعلها من دعائم الفروسية ، خاصة في البيت الأخر من النص السابق، ويعد هذا البيت" آخر ما قاله حسان من القصيدة في الجاهلية قال مصعب الزبيري: كان حسان قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية ،ثم أكملها في الإسلام عند قوله : عدمنا حيلنا إن لم تروها . قال: وهجم حسان يوما على فتيه من قومه يشربون الخمر فنقم منهم ذلك وأنكره، فقالوا : ياأبا الوليد ما أخذنا ذلك إلا منك ، وأنا لنهم بتركها فيثبطنا عن ذلك قولك :

---

١ ينظر شرح ديوان حسان /٤٤٩

٢ ديوان حسان/٧٢

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء، فقال حسان هـذا شيء قلته في الجاهلية ، والله ما شربتها منذ أسلمت،([1]) ولـيس غريبا أن يتناول حسان في معرض شعره عن الفخر والحماسـة الخمر كعامل من عوامل التأثير بالقبيلة والظفر بالأعداء ، فقـد كان ذلك من عاده الشعراء الجاهلية " وقد تكون الجامعة العامـة بين الحديث عن اللهو والغزل والحديث عن الحرب هي الفخر ، ففي شعر الفخر دائما متسع لهما واستمدادا لما لها من دلاله على الفتوه الجامعة بين ضروب من الغـزو والفتـاك فـي جميـع المجالات ، وهذا طرفه بن العبد يجمع بينهما في بيت واحد من معلقته حيث يقول: ([2])

إلا أيهذا اللائمى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات أنت مخلدي

كما ظهر نوع من شعر النقائض القائم على الفخـر بالأحسـاب والبطولات من جانب وإظهار الإذلال في الجانب الأخر ، ولعل وجود ذلك اللون من الشعر في ديوان حسان يكون مرجعه إلـى أثر الحياة التي كانت تدور في البيئة اليثربية قبل بعثه النبـي- صلى الله عليه وسلم – حيث كانت رحي الحرب من حين إلـى أخر بين قبيلتي الأوس والخزرج مما دفع الشعراء إلـى التـأثر بهذه الأحقاد الدائرة بين القبائل والعشائر ومما ورد فـي شـعر

---

١ ينظر شرح ديوان حسان/٥٧

٢ المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي ، د.كاظم الظواهري/١٩٤، دار الهداية ط أولى ١٤٣١هـ ،٢٠١٠م

حسان من هذا القبيل قوله في القصيدة التي قالها ردا على " قيس بن الخطيم" حيث قال في قصيدته :([1])

أبلـغ بنـي جحجبـى وقـومهم خطمـه أنـا وراءهـم أنـف

فرد عليه حسان بقوله :([2])

دع ذا وعد القريض في نفـر يرجون مدحي ومدحي الشرف

إن تدع قومي للمجد تلفههم أهـل فعـال يبـدوا إذا وصفـوا

بـلغ عنـى النبيت قـافيه تـذلهم أنهـم لنـا حلفـوا

في الأبيات يظهر الأثر الجاهلي واضحا ، فقـد اهـتم حسـان بإظهار جانب البطش والقوة مع الانتقام وعدم العفو ، وهى أمور تعد من خصائص ذلك العصر ، كمـا رمـى حسـان غريمـه بالتشكيك في نسبه عندما قال في أبيات القصيدة :([3])" وأنتم دعوه لها وكف" والدعوة في النسب أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيـه وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك والأبيات في جملتها تظهـر هذه الحالة التي كان عليها الأوس والخزرج قبل الإسـلام مـن عداوة وقتال مستمر

---

١ ينظر شرح ديوان حسان/٣٣٥

٢ شرح ديوان حسان /٣٣٧

٣ ينظر البحث /

*** ثانياً : غرض المدح**

على الرغم من احتلال المدح حيزاً كبيراً في الشعر الجاهلي فان شعراء البيئة اليثربية في ذلك العصر كانوا مقلين في طرق أبواب هذا الغرض ، فقد وجدنا أبيات المدح تأتي في ثنايا قصائدهم الفخرية في أغلب الأحيان ، ولم تعرف عنهم الرحلة إلى الكبراء أو الملوك بقصد مدحهم والحصول منهم على العطاء ، ما خلا حسان فانه كان على صلة وثيقة بملوك المناذرة والغساسنة (١) وعلى الرغم من ذلك فشعر المدح عنده لم يخل من الفخر بنفسه وبأجداده ومن ذلك قصيدته التي مدح بها عمرو بن الحارث (٢) في حضور النابغة الذبياني ، وعلقمة بن عبده . يقول عن ذلك حسان (٣) : << قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصول إليه ، فقلت للحاجب بعد مدة : إن أذنت لي عليه ، ، وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم ، فأذن لي فدخلت عليه ، فوجدت عنده النابغة وهو جالس عن يمينه ، وعلقمه بين عبده وهو جالس عن يساره ، فقال لي : يا بن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية ولا احتاج إلى الشعر فإني أخاف عليك هذين

---

١ ينظر المدينة في العصر الجاهلي /١٤٤

٢ هو أحد ملوك الغاسنة وهم بنو عمر بن مازن بن الأزد

٣ شرح ديوان حسان/٣٥٨

السبعين النابغة وعلقمة أن يفضحاك وفضيحتك فضيحتي ، وأنت والله لا تحسن أن تقول :([1])

رقـــاق النعـــال طيب حجـزاتهـم يحيـون بالريحـــان يـــوم السبـــاسب

تـحييهم بيـض الـــولائد بينهـــم واكسيه الأضـريح فـوق المشـاجب

يصـــونون أجـــاداً قـديماً نعيمهـا بخالصـــة الأردان خضـــر المناكـب

ولا يحسبـون الخير لا شـر بعـده ولا يحسبـون الشـــر ضـربة لازب

حبوت بهـا غسـان إذ كنـت لاحقـا بقومـي وإذ أعيـت علـــى مـذاهبي

فأبيت وقلت : لابد منه ، فقال : ذاك إلى عمليك، فقلـــت: لهمـــا بحق الملك إلا قد متماني عليكما ، فقالا : قد فعلنا ، فقال عمـــر بن الحارث : هات بابن الفريعة فأنشأت :([2])

---

١ هذه الأبيات من قول النابغة الذبياني .وأولها

كليني لهم يا أميمه ناصب وليل أقاسية بطئ الكواكب

٢ ديوان حسان/١٢١

٣ البضيع: اسم مكان في الشام وهو الجولان

فالمرج مرج الصفرين فجاسم ... فـديار تبني درسا لم تحلل (١)

دمن تعاقبها الريام دوارس ... والمدجنات من الساك الأعزل

فالعين عانيه تفيض دموعها ... لمنازل درست كأن لم تؤهَل

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق في الزمان الأول (٢)

أولاد جفنه عند قبر أبيهم ... قبرا بن ماريه الكريم المفضل (٣)

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

يسقون درياق المدام ولم تكن ... تغدو ولائدهم لنقف الحنظل

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه كريمه أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

فعلوت من أرض البريص عليهم ... حتى اتكأت بمنزل لم يوغل

نغدو بناجود ومسمعه لنا ... بين الكروم وبين جزع القسطل (٤)

فلبثت أياما طوالا فيهم ... ثم ادكرت كأنني لم أفعل

أما ترى رأسي تغير لونه ... شمطا فأصبح كالثغام المحل

ولقد يراني الموعدي كأنني ... في قصر دومه أوسواءالهيكل

ولقد شربت الخمر في حانوتها ... صهباء صافيه كطعم الفلفل

---

١ الصغر: موضع بغوطة دمشق، وجاسم : قرية قرب دمشق وكل هذه منازل آل جفنه الغساسنة.

٢ جلق: قيل هي دمشق، وقيل : موضع قربها

٣ ماريه: ذات القرطين وهى أم بني جفنه بن عمرو بن مزيقياء وهى بنت ملك الروم

٤ الناجود: الخمر وإناؤها

إلى أن قال:([1])

نسبى أصيل في الكرام ومذودي تكون مواسمه جنوب المصطلي([2])

تعد هذه القصيدة من قصائد المدح المشهورة في العصر الجاهلي ، " ورغم أنها خير ما يمثل شعر المدح اليثربي .. ورغم أن كل الظروف المحيطة بها تحدد الغرض منها وهو المدح ، فإن حسان لم يجعلها خالصة للمدح ،بل مزجها بالفخر، فقد بدأها بالوقوف على الديار والسؤال عنها وعما غيرها ، وهى بداية طبيعيه تتمشى مع المتعارف عليه في المدح في ذلك العصر ،ثم انتقل منه إلى الغرض الأساسي ولم يزد فيه على عشره أبيات مدح فيها بني جفنه بالجود وقرى الأضياف والشجاعة، وأنهم ملوك يسقون درياق الرحيق، ولا تدعى ولائدهم لنقف الحنظل ، ثم خص نفسه بخمسه عشر بيتا فخر فيها بشرب الخمر وأسلوب تعامله مع سقاتها ، وبأصالة نسبه وحده لسانه وتقلده مع قومه شأن العشيرة سلما وحربا ، وبأنهم ممن يعاشرون الملوك ويجالسونهم وتتجه ركابهم إليهم ،وممن يبذلون المال في سبيل الحمد والثناء ، ونقاء الأعراض"([3]) فالقصيدة اذانرى فيها الأثر والمعالم الجاهلية واضحة ،فهي من ناحية المنهج متعددة

---

١ ديوان حسان/١٢٥

٢ ينظر البحث نفسه/

٣ ينظر المدينة في الشعر الجاهلي/١٥٤

الأغراض حسب المنهج التقليدي للقصيدة الجاهلية ، فالشاعر – كما سبق – بدأ بالوقوف على الأطلال ووصف الديار ، ثم انتقل إلى المدح وهو الغرض الأساسي للقصيدة ، ثم افتخر بنفسه وقوم وهذا هو منهج حسان في غالب شعرة الجاهلي . أما المضمون ففيه نلحظ الشاعر وقد تحدث عن الخمر حديث الإعجاب بها ، والفخر بشربها ووصف سقاتها ، وهذه أمور لم يتحدث عنها في الإسلام حديثه في الجاهلية .

وقال مادحا – كذلك – لآل غسان حيث مدح جبله بن الأيهم صاحب التاج الغساني ، يقول :([1])

لمن الدار أوحشت بمعان بين أعلا اليرموك فالخمان

فالقريات من بلاس فداريا فسكاء فالقصور الدوانى

فقفا جاسم فأوديه الصفر مغنى قنابل وهجان ([2])

تلك دار العزيز بعد أنيس وحلول عظيمه الأركان

هبلت أمهم وقد هبلتهم يوم حلو بحارث الجولان

قد دنا الفصح فالولائد ينظم ن قعودا أكلله المرجان

يجتنين الجادى في نقب الري ط عليها مجاسد الكتان

---

١ ديوان ديوان حسان /٣٢٢

٢ القنابل: الجماعات من الخيل، والهجان: كرائم الإبل

لـــــم تعللن بـــالغافر والصـم غ ولا نقف حنظل الشريـــــان ([1])

ذك مغنى من آل جفنه في الده ر وحـــق تعـــاقب الأزمـــــان

قـد أراني هنـاك حـــق مكين عند ذي التاج مجلس ومكاني

وقال يمدح النعمان بن المنذر في قصيدة يفخر فيها بنفسه:([2])

أكلفها أن تدلج الليل كلـه تـروح إلـى بـاب ابـن سـلمى وتغتـدي([3])

تزور امرءا أعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمـــد

والفيتـــه بحـرا كثيرا فضـــولـــــه جوادا متى يذكر له الخير يزدد

ويبدو بوضوح أثر البيئة الجاهلية في مدح حسان لقريش حيـث ذكر فضلها وعزتها ، كما أشاد بالصنم الذى كانت تعبده قريش في الجاهلية يقول :([4])

كانـــــت قريش بيضه فتفلقت فالمح خالصة لعبد الـدار(٥)

ومنـــاه ربـى خصهم بكرامـــه حجاب بيت الله ذي الأستار

نلحظ في البيت الأخير ذكر حسان لهذا الصنم ، وقد كان لهزيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونه من دون الله في الجاهليـة ،

---

١ في البيت صورة مستوحاة من البادية فهو ينفى عن ممدوحة صفه من صفات البداوة حيث كن في البادية يكسرن الحنظل لاستخراج ما فيه .

٢ الديوان/١٣٢

٣ ابن سلمى : هو النعمان ابن المنذر

٤ ديوان حسان/٣٢٨

٥ المح والمحه: صفار البيض

وقد تبرأ حسان من كل ذلك فقد دخل الإسلام وحسن إسلامه حتى أصبح شاعر الرسول- صلى الله عليه وسلم.

وفى شرح ديوان حسان نجد بيتين بعد البيتين السابقين، يقول فيها مادحا قريش:([1])

أهل المكارم والعلي ونداوة الن ادى وأهل لطيمه الجبار
ولوي قريش في المشاهد كلها وبنجدة عند القنا الخطار

في البيتين يمدح الشاعر قريش بسد انه البيت وخدمته، وكان ذلك لعبد الدار وهو منصب رفيع تكون مفاتيح الكعبة عند من يتقلده ، ويكون المسئول عما في الكعبة من أموال وأمانات كما يمدحهم بالندوة وهى دار كانو: يجتمعون فيها لإبرام أمورهم وتشاورهم.

وبعد عرض نماذج من شعر المدح للشاعر حسان ابن ثابت في الجاهلية نلحظ أنه خص الغاسنة بالنصيب الأكبر في شعر المدح عنده ، ولعل ذلك يعود إلى ما كان بينه وبين الغاسنة من صلته وقرابة ،وهم- أيضا – كانوا " يشعرون أن حسان منهم واليهم ولذلك قال له الملك عمر بن الحارث وهو يصده عن الإنشاد أمام النابغة وعلقمة: (أنى أخاف عليك هذين السبعين أن بغلباك ويفضحاك وفضيحتك فضيحتي) :([2]) وقد كانت هذه القرابة الدافع الذي جعل حسان يفخر بنفسه وهو في معرض المدح

---

١ شرح ديوان حسان/٢٥٥

٢ ينظر المدينة في العصر الجاهلي /١٥٥ ، وينظر البحث نفسه/

لملوك الغاسنة ، ويرى أن كرامه أصله ، وعراقه نسبه مستمده من الانتساب لهم ، وقد ظهر ذلك في شعره الجاهلي عند قولـــه ([1]):

منهم أصلى، فمن يفخر به يعرف الناس بفخر المفتخر
نحن أهل العز والمجد معا غير أنكاس ولا ميل عسر

وكان من شده ارتباط حسان بهؤلاء الأمراء وشـــعوره القـــوى بالانتساب إليهم ،أن أصبحت لديه في الجاهلية تفضيل عنصـــر الحضارة على البداوة، ومدح الأمراء هؤلاء – في غالب شعره– عن بقيه العرب وكما أشرنا من قبل اعتراف حسان بأن مجلسه الطبيعي بجوار هؤلاء الملك جنبا إلى جنب([2])

---

١ ديوان حسان/١٩٣

٢ ينظر البحث نفسه/

*** ثالثا : غرض الهجاء:**

كان الباعث على التهاجى في الجاهلية تلك الأحقاد التي أثارتها العصبيات والمنافرات والمفاخرات، فاندفع الشعراء وراء أحقادهم وإضغان قبائلهم فكان الشاعر ينـدد بالقبيلة المعادية لقبيلته معتدية كانت أو معتدى عليها حتى أصبح البيت من الشعر يرفع من قدر قبيلة خاملة ويضع قدر قبيلة شريفه، وعادة ما كان يظهر هذا الغرض – في الجاهلية – مرتبطا بالحروب والمنازعات ، شأنه في ذلك شأن الفخر ، وبالنظر في بيئة شاعرنا محل الدراسة نجد أن أشهر أيام العرب وحروبهم تلك التي كانت بين قبيلة الخزرج وهى قبيلة الشاعر وبين الأوس ، وقد اقترن ذكر ذلك باسم مجموعه من الشعراء الجاهلين والمخضرمين كان أبرزهم خمسه هم:أبو قيس بن الأسلت، وحسان بن ثابت ، وأحيه بن الحلاج، وعبدا لله بن رواحه ، وقيس بن الخطيم، يتصدى كل واحد منهم للدفاع عن قومه والمفاخرة بأمجاده، في الوقت الذي ينال فيه من أعدائهم ويشهر بهم ، ويطلق فيهم لسانه ثلبا وهجاء ،فيجمع في القصيدة الواحدة بين الفخر والهجاء ، ويقف له الشاعر الأخر بالمرصاد ، ويرد عليه وينقض معانيه، متخذا نفس الوزن والقافية، قالبا فخره ذما ، مشيدا بنفسه وبقومه ، وبهذه المهاجاه بينهم شهدت يثرب ميلاد فن شعري جديد عن البيئات العربية الأخرى لم يكن لهابه عهد

ولا عرفته في أجيالها الماضية ، ذلكم هو فن النقائض([1]) وقد ظهر أثر هذه البيئة في شعر حسان ظهورا ملحوظا ، فقد تفاعل بشده مع قبيلته حتى أصبح لسانها الذي تنهال به على أعدائها ومن ذلك قوم حسان يهجوا الحارث بن هيشه بن عبد الله بن معونة بن عمرو بن عوف ([2])

١- يا بني رفاعة ما بالى وبالكما هل تقصران ولم تمسسكما ناري (٣)
٢- ما كان منتهيا حتى يقاذ فني كلب وجأت على فيه بأحجار(٤)
٣- يكسو الثلاثة نصف الثوب بينهم بمئزر وراداء غير أطهار
٤- قد خاب قوم نيار من سرائهم رجلا مجوعة شبت بمعار
٥- لولا بن هيشه إن المرء ذورحم إذا لأنشبت بالبزواء أظفاري

نلحظ في الأبيات استخدم الشاعر لألفاظ السب والشتم كما في التعبير بلفظ (كلب) في البيت الثاني ، والوصف (بغير أطهار) في البيت الثالث . ولأن الشاعر يهجوا في موطن الحرب والنزاع بين الأوس والخزرج نجده في البيت الأخير يهدد بالإغارة عليهم ، والطعن في ديارهم (البزواء) والأظفار هنا كنايه عن القوة وشدة الطعن.

ومن شعر حسان في الهجاء – أيضا – قوله ([1]) ردا على قيس بن الخطيم عندما هجاه بن الخطيم بقصيده طويلة يقول في مطلعها ([2])

---

١ ينظر المدينة في العصر الجاهلي/٦٣

٢ ديوان حسان بن ثابت/٢٥٢

٣ يعنى قيس بن رفاعة، وأخاه من بني واقف بن الأوس

٤ وجأت: وجأ ضرب، والمعنى ضربت ولكزت

رد الخليط الجمال فا نصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفو

وذكر بن الخطيم في هذه القصيدة ما كان من حـــرب (سُـــمَير) وهى أول الحروب الواقعة بين الأوس والخزرج ، والشاعران لم يحضروها لكونها سبقت زمانها ، بل حضـــرا حروبـــا أخـــرى كبغاث، وهى آخر حروبهم ، ولكنهما بعثا هذه الحروب شعرا ، ومبالغه منهما في إرادة استحضار صورة ذلك العـــراك القـــديم جعلا قصيدتيها على الوزن نفسه والقافية نفسها اللتـــين كانـــت عليها قصائد من سبقهما من الشعراء الذين عاصـــروا حـــرب سمير(٣) ، وهم مالك بن عجلان، ودرهم بن زيد ، وعمرو بـــن امرئ القيس

يقول حسان في مطلع قصيدته

مـــا بـــال عين دموعها تكـف من ذكر خود شطت بها قذف
بـانت لـها غـــربه تـــؤم بهـا أرضا سـوانا والشكل مختلف
مـا كنت أدرى بوشـــك بينهـم حتـى رأيـت الحداة قد عزفوا
فغادرونى والنفس غـــــاليها مـــا شفها والهمـوم تعتكف
دع ذا وعد القريض في نفرمـا لهم غير سبتي شـــــــرف
كنتم عبيـــــــــدا لنا نخولكم مـن جـاءنا والعبيد تصنطعف
كيف تعاطون مجـــدنا سفها وأنتـم دعـــوة لها وكـــف
شانكم جـــــد كـم وأكـرمنا جـــد لنـا في الفعال ينتصف
نجعل مـــن كان المجد محتده كأعبد الأوس كلما وصـفـوا
الاغضبتم لأعبـــــد قتلـوا يـــوم بعـــاث أظلمهـــم ظلف

---

١ ينظر البحث نفسه

٢

٣ ينظر المدينة في العصر الجاهلي/٦٥

وكـم قتلنا مـن رئـيس لكم في فيلق يجتـدى لـه التلـف (١)
ومـن لئيم عبـد يحـالفكم ليسـت لـه رتبـه ولا أنـف
نقتلهـم والسيـوف تـأخذهم أخـذا عنيفا وأنتـم كشف

إذا ما وضعنا قصيدة حسان هذه في مقابله قصيدة بـن الخطـيم لوجدنا أنها تمثل غرض الهجاء المبنى على النقائض خير تمثيل حيث اتخذ حسان المنهج نفسه الذي اتخذه ابـن الخطـيم فـي قصيدته (٢) فحسان بن ثابت بدأ قصيدته بالغزل- أيضا- وهـى رد متعمد على قيس بن الخطيم ، فهي نقيضه حقيقية متكاملـة ، فيها من النقائض الأموميه إلا الفحش والتعرض للعورات ، ولم نلحظ شيئا من ذلك عند حسان في هذا الموضوع وان جاء على استحياء فى غيره من المواضع ، أما في هذا النص فقد التـزم

---

١ كان من عادة أهل يثرب في الجاهلية أن يقاتلون في فيالق، وهى شئ كالحصون يحميهم من وقع النبال .

٢ ومن شعره في هذه القصيدة

أبلغ بني جحجبى وقومهم	خطمه أنا وراءهم أنف
وأننا دون ما يسومهم الأعداء	من ضيم خطة نكف
نفلى بحد الصفيح هامهم	وفلينا هامهم بنا عنف
إن ولو قدموا التي علموا	أكبادنا من ورائهم تجف
لما بدت غدوة جباههم	حنت إلينا الأرحام والصحف
كقلينا للمقدمين: قفوا	عن شأوكم، والحراب تختلف
يتبع أثارها إذا اختلجت	سخن عبيط عروقه تكف
إن بني عمنا طغوا وبغوا	ولج منهم في قومهم سرف
قال لنا الناس: معشر ظفروا	قلنا:فأنى بقومنا خلف
لنا مع آجامنا وحوزتنا	بين ذراها مخارف دلف
يدب عنهن سامر مصع	سود الغواشى كأنها عرف

وينظر كتاب المدينة في العصر الجاهلي / ٦٨

بسمه قومه وعرفهم الشائع العام . ذكر بكاءه لفـراق صـاحبته التي غادرته دون علمه إلى أرض بعيده ، وفوجئ بمراكبها تأخذ في الرحيل ولم يبق له منها غير الذكرى والهموم الضاربة، ثـم بعد أن قدم هذه الصورة الغزلية الباسرة ينتقل فجأة إلى غرضه مباشرة دون تمهيد ليرد على بن الخطيم سـاخرا مـن وعيـده مفتخرا بقومه، مدعيا أن خصومه أقل منهم في الشرف ، ثم ذكر من قتلوا منهم يوم بعاث ، ووسمهم بالعبودية، ثم جعل خصومه خولا وعبيدا وخدما لقومه.

ومن صور الهجاء المشتملة علـى الفحـش والتعـرض للعورات عند حسان ، قوله في هجاء (مزينه) عند دخولها فـي حلف مع الأوس في يوم بعاث يقول:([1])

جـاءت مـزينه من عمق لتنصرهم انجي مزينه من أستـاهك الفتل
فكل شئ سـوى أن تذكر واحسنا أو تبلغوا حسبا في شأنكم جلل
قـوم مـدانيسى لا يمشى بعقوتهم جار وليس لهم في موطن بطل

وقال في هجاء(مزينه)أيضا:([2])

رب خـالة لك بين قـدس وآرة تحت البشام ورفغها لم يغسل (٣)
تسعى وترقص تحت أير حمـارها حتـى يكاد يمسـها أو يفعل

نلحظ من النص الأول من هجاء حسان لمزينه تلـك الصـورة البالغة في هجائها منتهى الايقذاع والفحش ، فقد رسم فرارها في

---

١ ديوان حسان/٢٩٦

٢ ديوان حسان/٢٩٦

٣ قدس ورآه جبلان فى بلاد مزينة

البيت الأول صورة هزلية مثيرة للسخرية ، ونفى عنها بعد ذلك الشرف والحسب ، واتهما بالدنس والبخل والجبن، وهذه الصفات التي استخدمها الشاعر في الهجاء كانت في البيئة الجاهلية عند العرب من مواطن الذل والهوان بحيث إن تحققت في قوم أو وصفوا بها أصابهم ولازمهم الخزي والعار ، كما أن أضدادها من الشرف والكرم والشجاعة من صفات الفخر والمحامد ، ولعلنا نجد أثر البيئة الجاهلية أكثر وضوحا في البيتين الأخريين فقد وصف نساء قبيلة مزينة بهذه الصفات المذكورة وهى في غاية الفحش والشتم. وقد قوم الإسلام بعد ذلك شعر حسان فأصبح لا يهجوا إلا أعداء الإسلام ، وسوف نجد ذلك في حفينه.

الفصل الثاني
(ملامح الأغراض الشعرية في شعر حسان الاسلامى)

* أولا: غرض الفخر

مما سبق من عرض شعر حسان الجاهلي في غرض الفخـــر ، وجدناه مرتبطا بالقبيلة بحيث كان فخره في شعره معبـــرا عـــن قبيلته التي ينتمي إليها وعشيرته التي نشأ فيها ، فهوتا ره يفخر بالأحساب والأنساب، وأخرى يفخر بقوه قومه وبأسهم الشـــديد ضد أعدائهم سواء كان ذلك على حق أو غير حق

أما في الإسلام فقد تأثر الشاعر بروح الإسلام الأمر الذي جعل فخره مستمدا من هذا الدين الجديد ، فهو يفخر بالانتساب الإسلام والسبق إليه ، – كذلك – يفخر بنصره النبي – صلى الله عليـــه وسلم – ونزول جبريل عليه السلام – بالقرآن الكريم ، وغيـــر ذلك من معان وموضوعات متعلقة بالدين الاسلامى ومن ذلك ، قوله مفتخرا بالسبق إلى الإسلام ونصره النبي – صلى الله عليه وسلم–: ([1])

هل المجد إلا السؤدد العود والندى وجاه الملوك واحـــتمال العظائم

لنا الملك في الإشراك والسبق فـــي الهدىونصر النبي وابتناء المكارم

و في قصيده أخرى يفخر حسان بالتقوى ، وتأيد جبريل – عليه السلام– للمؤمنين ، وما كان من نصر يوم بدر. يقول:([2])

---

١ ديوان حسان/١٣٧

٢ ديوان حسان/٩٥

وعلـونا يـوم بـدر بالتقي طاعة الله وتصـديق الرسل
وتـركنا فـي قريش عورة يـوم بـدر وأحـاديث مثـل
وقتلنـا منـكم أهـل اللوى إذا لقيناكم كـأنا أسد طل
وقتلنـا كـل رأس منهـم وطعنـا كـل جحجاح رفل

نلحظ في الأبيات فخر الشاعر بنصرة النبي- صـلى الله عليـه وسلم- وبالقوة والبأس الذي قدمه السلمون يوم بـدر ، وكـان منطلق الشاعر في فخره من إحساسه العميق بالإسلام والشعور القوى بقوة الانتساب إليه ، لكن النص نلحظ فيه تلك النبرة عالية الصوت التي انبثقت من فخره لتهجو قريشاً ولعل ذلك مرجعـه إلى مناسبة القصيدة حيث إن حسان قالها ردا على قصيده ابـن الزبعرى التي افتخر فيها بقومه يوم أحد

وقال حسان يفتخر- أيضا – بيوم بدر:([1])

وخبر بالـذي لا عيب فيـه بصـدق غير إخبـار الكذوب
بما صنـع المليك غداة بدر لنـا فـي المشركين مـن النصيب
غداة كأن جمعهم حـراء بـدت أركـانه جـنح الغـروب
فـلا قينـاهم منـا بجمـع كأسـد الغـاب من مـرد وشيب
أمـام محمد قـد آزروه على الأعـداء في وهـج الحروب
بأيـديهم صـوارم مرهفات وكل مجرب خـاطى الكعوب

نلحظ اعتماد الشاعر في النص على إظهار مواطن القوة ، وشدة البأس والأخذ على يد الأعداء في عز، معتمدين في كـل ذلـك على الله تعالى- ونصره للمؤمنين ، والشاعر في طريقه تناولـه للغرض يشبه هذه الطريقة القديمة في الجاهلية ، إلا أن الفـارق

---

١ ديوان حسان/١٣٤- ١٣٥

أن الشاعر في الجاهلية كان بفخره ينطلق من خـــلال العصـــبية القبلية ، أما في الإسلام ففخره يستند على عقيدة الإيمان بـــدين الإسلام ، والشعور بالعزة والكرامة في الانتماء إلية ، ويؤكد هذا المعنى قوله في قصيدة

أخرى:([1])

الله أكــرمنـا بنصـر نبيــه وبنـــا أقـــام دعـــائم الإسلام
وبنـــا أعـز نبيه وكتـــــابه وأعــزنا بالضــرب والإقـــدام
في كل معترك تطير سيـوفنا فيـه الجمــاجم عن فراخ الهام
ينتابنـــا جبريــل فــي أبياتنا بفـرائض الإســـلام والأحكام
يتلو علينا النور فيـــــها محكما قسما لعمرك ليس كالأقســـــــام
فنكـون أول مستحـل حـلاله ومحــرم لله كـــل حـــــرام
نحـن الخيــار من البرية كلها ونظامها وزمـــام كـــل زمــام

نلحظ في الأبيات تأثر الشاعر الواضح بالإسلام، فهي من حيث المضمون يفخر فيها الشاعر بالانتساب للإسلام ، والقيام علـــى نصره النبي – صلى الله عليه وسلم– ، كما يفخر بنزول جبريل – عليه السلام – بالقرآن الكريم ، كما نلحظ تأثر الشـــاعر فـــي البيت الأخير بالقرآن الكريم في قوله تعالى :" كنتم خيـــر امـــة أخرجت للناس ....." الآية

ومن حيث الشكل نلحظ استخدام الشاعر لألفاظ غير معهودة في شعر الجاهلية مثل (الإسلام النور– الحـــلال– الحـــرام – جبريل فرائض)

---

١ ديوان حسان/١٤٣

وعندما يفتخر الشاعر بقومه في الإسلام نجده يستحضر فضلهم ثم يذكر ما زاده الإسلام من الفضل والرفعة . يقول :([1])

كنا ملوك الناس قبل محمد فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل
وكرمنا الله الذي ليس غيره إله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الإله والنبي ودينه وأكرمنا باسم مضى ماله عدل

إلى أن قال:

ومنا أمين المسلمين حياته ومن غسلته من جنابته الرسل

في البيت الأخير يشير الشاعر إلى حدثين ، الأول : الإشارة إلى دور الصحابي الجليل سعد بن معاذ – كان ينتمي إلى قبيلته الأوس – حين حكمه النبي – صلى الله عليه وسلم– في بني قريظة بعد غزوة الخندق ، فحكم بأن تقتل الرجال ، وأن تسبى النساء والذرية ، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

والثاني : الصحابي الجليل حنظله بن أبى عامر الذي لقب بغسيل الملائكة وذلك عندما أصاب من أهله فلما سمع الصيحة يوم أحد خرج مبارزا فاستشهد فغسلته الملائكة.

كما نلحظ في موضع أخر الشاعر وقد جمع في فخره الأوس والخزرج معا فلم يفخر بقومه الخزرج فقط كما كان الحال في الجاهلية . ويقول :([2])

نصرنا وآوينا النبي وصدقت أوائلنا بالحق أول قائل

---

١ ديوان حسان/١٤١

٢ ديوان حسان/١٦٧

وكنا متى يغزو النـــــبي قبيلة نصـل حافيته بالقنا والقنابل

يقول – أيضا – من قصيدة طويلة ([1])

فنحن العرى من نسل آدم والعرى تربع فينـــا المجـــد حتى تأثلا
بني العز بيتـا فاستقـــرت عماده علينا وأعيا الـناس أن يتحولا
وانك لــن تلقى مـن الناس معشرا أعز من الأنصــار عـزا وأفضلا

في الأبيات نلحظ فخر الشاعر بأهل المدينة دون أن يميز بيـــنهم – كما كان في الجاهلية حيث كان يفتخر بقومه الخزرج ويحـــط في الوقت نفسه من قدر الأوس، أما في الإسلام فقد جمع بينهما تحت اسم (الأنصار) وذلك من أثار الإسلام. فكما هو معروف أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنهى على العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج في الجاهلية .

مما سبق نلحظ اختلاف غرض الفخر عند الشاعر حســان بـــن ثابت في الإسلام عنه في الجاهلية، فهو بعد الإسلام نلمس فيـــه روح الإيمان بالله تعالى ، والفخر بالانتماء إلى دينـــه الحنيـــف (الإسلام) والإعلاء من شأن المسلمين دون تميزهم إلى بطون أو عشائر.

* ثانيا: غرض المدح

كما كان شعر الفخر تسرى فيه روح الإيمان وأريج الإسلام في شعر حسان الاسلامى ، كذلك شعر المدح نلحظ فيه أثر الإسلام

---

١ ديوان حسان/٢٧٤

جليا حيث أصبح هذا الغرض يدور حول الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله ، وانطلق الشاعر في مدحه للأشخاص من خلال إيمان الشخص بالله الواحد ، والعمل على نشر دين الإسلام ، كما وجدنا في شعر حسان مدحا خالصا بالنبي – صلى الله عليه وسلم ، وذلك في قصائد كثيرة تتضمن هذا الغرض ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم – في شعر حسان يختلف عن مدح حسان للملوك والأمراء في الجاهلية ، حيث كان يبتغي في جاهليته مؤانسه الملوك والنيل من عطاياهم، أما مدحه النبي صلى الله عليه وسلم – في الإسلام مختلف عن ذلك تماما حيث أن الشاعر يرى أن مدحه للنبي – صلى الله عليه وسلم – يعد من تمام الإيمان ،وصدق اعتقاده ، فلم يكن الشاعر يبتغي من ذلك المدح العطايا والمال، ويعد ذلك تحولا في شاعريه حسان ، فبعد أن كان يمدح من منطلق قبلي وعصبية وقبلية ، أصبح يمد ح من منطلق ديني اسلامى ومن ثم قلت أبيات الفخر التي كانت تتخلل بكثرة قصائد المدح في الجاهلية، ومن نماذج ذلك قوله :([1])

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى ... الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو ... حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثةإن ... الخلائق فاعلم شرها البدع

---

١ ديوان حسان/٢٣٨

إن كـــان فـي الناس سباقون قبلهم فكـــل سبـــق لأدنى سبقهم تبـع

ومن قصائد المديح – أيضاً– في شعر حسان قوله يمدح النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد تأثر الشاعر فيها كثيـــراً بـــالمجتمع الإسلامي لفظاً ومضمونا يقول :([1])

أغـــــــــــرٌ عليه للنبوة خاتم مـــــن الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اســم النبي إلى اسمه إذ قـال في الخمس المـؤذن أشهد
وشــق له مـــــن اسمـــه ليجله فـذو العـرش محمود وهذا محمد
نبي أتـــانا بعـد يـــــأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً يلـوح كمـا لاح الصقيـل المهند
وأنـــــذرنا نـــاراً وبشـــر جنة وعلمنـــا الإســـــــلام فالله نحمـــد

نلحظ من الأبيات أثر الإسلام جلياً واضحاً سواء في الشـــكل أو المضمون ، فمن حيث الشكل نلحظ اختيار الشاعر ألفاظ القصيدة من الوادي السهل البسيط متأثراً في ذلك بألفاظ إسلامية لم تكـــن معهودة في أقوال الشعراء مـــــن قبل أمثال (النبوة ، المؤذن ، العرش) كما تأثر بعبارات من القرآن الكريم في مثـــل قولـــه (فأمسى سراجاً مستنيراً) وقـــــــــوله (وأنذرنا نـــاراً وبشـــر جنة) أما من جهة المضمون فقد جعل الشاعر مدحه للنبـــي – صلى الله عليه وسلم – مستمدا من رافد ديني ، وإيمان عميـــق بالله – تعالى – فهو لم يكن ليمدح النبي – صلى الله عليه وسلم – مثلما كان يمدح الملوك من قبل بتناول مدحهم مـــن منطلـــق مادي حيث كان دافعه إلى ذلك حب المال والعطايـــا أو مجالـــه

---

١ شرح ديوان حسان بن ثابت/١٣١

الأمراء والملوك ، أما في مدحه النبي – صلى الله عليه وسلم ، فقد وجد حسان أن من تمام الإيمان أن يقدم حب النبي – صلى الله عليه وسلم – على كل حب ، وفي المدح تعبير عن هذا الحب وإظهار له ، كما أنه طريق من طرق رضا الله سبحانه وتعالى .

وذلك واضح من خلال البيت الأخير في النص السابق ، ومن ثم ختم الشاعر قصيدته السابقة ، بقوله :([1])

وأنت الـه الخلـق ربـي وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلها وأنت أعلى وأمجد
لـك الخلـق والنعمـاء والأمر كله فإيـاك نستهـدى وإياك نعبد

وعندما يمدح حسان أحدا غير النبي – صلى الله عليه وسلم – نجده يبدأ مدحه إياه بإتباعه للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومدى قوة إيمان الممدوح ، وخدمته للدين، يقول في مدح الزبير بن العوام عندما دخل على حسان وهو ينشد في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والحاضرون غير مقبلين عليه ، مجلس الزبير وقال: ما لكم لاتستمعون ، والله لطالما أصغى إلية صاحب هذا القبر فقال حسان بمدحه:([2])

أقـام علـى عهـد النبي وهـديه حواريـه والقول بالفعل يعدل
أقـام علـى منهـاجه وطريقه يوالى ولـى الحـق والحق أعدل
هو الفـارس المشهـور والبطل الذي يصول إذا مـا كان يوم محجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حسها بأبيض سبـاق إلـى الموت يرفل

---

١ ديوان حسان/١٣٢

٢ ديوان حسان/٢٤٩

وان امـــرأ كـــانت صفيـــة أمه ومن أسـد في بيتها لمـــرفل (١)
له من رســـول الله قـــربى قريبة ومن نصـرة الإسـلام مجد مؤثل
فكـــم كـــــربة دب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى فيجزل

في النص نلحظ الشاعر يمـــدح ممدوحـــة بالســـبق للإســـلام ، والمحافظة على العهد الذي بينه وبين النبي – صـــلى الله عليـــه وسلم – مع التزامه منهج الحق والثبات عليه، ثم مدحه بالشجاعة ، ودفاعه عن الإسلام ، ثم عاد ليمدحه بذلك النســـب الشـــريف الذي يلتقي فيه مع نسب رسول الله –صلى الله عليه وسلم كـــل ذلك يدل دلالة مباشرة على أثر الإسلام في شخصية حسان بـــن ثابت وتأثر شعره بالإسلام من حيث شكله ومضمونه.

---

١ أمه هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، عمة رسول الله– صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث
مصادر الصورة في شعر حسان بن ثابت

أهم ما يتميز به العمل الأدبي هو كونه صورة يعكس ما يعاينه صاحب العمل الفني، وما يجول بداخله من انفعالات سواء كانت تعبر عن لحظات سرور ومرح، أو آلام وحزن ، والصورة في الشعر أقوى وأظهر من الأنواع الأدبية الأخرى حتى قيل : إن القصيدة الشعرية ما هي إلا صورة ، وطبيعي أن تستوحي الصورة من البيئة التي يعيشها الشاعر سواء كانت بيئة جغرافيه أو بيئة اجتماعيه ، وبدراسة شعر حسان الجاهلي و الاسلامى وجدنا أن البيئة المستوحاة من البيئة الجغرافية تكاد تكون متشابهة إلى حد كبير ذلك لأن الحياة – من حيث البيئة الجغرافية – لم يدخل فيها تغير ذو أثر على رؤية الواقع المنظور فما زال المجتمع يعيش في الصحراء يعتمد على الطريقة نفسها التي كان قد اعتادها في الجاهلية أما الذي يعنينا في مصادر الصورة التي أثرت على المشهد المرئي للقصيدة في شعر حسان ، حيث جعلت صورتها في الإسلام تختلف عن صورتها في الجاهلية هي المصادر المستوحاة من الواقع الاجتماعي ، وسوف ندرس ذلك من خلال شعر حسان الجاهلي و الاسلامى .

أولا : الصورة ومصادرها في شعر حسان الجاهلي :

تشكلت الصورة في شعر حسان الجاهلي من خلال الحياة التي يعيشها الشاعر قبل الإسلام

فالحياة وما فيها من مشاهد وأحداث لعبت الدور الأكبر في تشكيل الصورة عند الشعراء ، وحسان بن ثابت كغيره من شعراء الجاهلية فقد وصف كل ما وقعت عليه عينه، الخيل والصحراء ، والحروب ، والخمر ومجالسها ، كما صور بعض عادات البيئة الجاهلية

وسوف نبدأ هنا عرض هذه الصور بصورة الخمر في شعر حسان ، ومن ذلك قوله:([1])

ولقد شربت الخمر في حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل
يسعى على بكأسها متنطف ويعلني منها ولو لم أنهل ([2])
إن التي ناولتني فرددتها قتلت – قتلت- فهاتها لم تقتل ([3])
كلتاهما حلب العصير فعاطنى بزجاجه أرخاهما للمفصل
بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل (٤)

في النص نلحظ الشاعر وهو يصور الخمر بهذه الصورة البديعة المستوحاة من واقع الحياة الجاهلية، وقد أ ضاف هذا التصوير

---

١ ديوان حسان/١٢٤

٢ المتنطف: هو الذي في أذنه قرط، ويروى (متنطق) وهو الذي في وسطه منطقة

٣ قتلت: مزجت بالماء

٤ القلوص:الفتية من الإبل

للخمر منزلة عالية فالمجتمع الجاهلي لم يكن يحرم الخمـــر بـــل كانوا يرفعون من شأنها ويعدونها من المكارم والحماسة، وفـــى النص السابق نلحظ اهتمام حسان الشديد بالخمر حتى وصـــفها وصفا يعكس هيئتها وهى بداخل الزجاجة ومن روائع صـــورة التي رسمت من خلال حديثه عن الخمر – أيضا – قوله وهـــو يتغزل :([1])

١- كـــأن فـــــــاها ثقب بارد ... في رصـف تحت ظلال الغمام
٢- شـــج بصهباء لـــها ســـورة ... من بيت رأس عتقت في الخيام
٣- عتقها دهـــرا رجـــاء برها ... يـولى عليها فـــرط عام فعام
٤- تدب فـــــي الجسم دبيبا كما ... دبـــي وســـط رقـــاق هيـــام
٥- يسعـى بها أحمر ذو برنس ... مختلف الـذفرى شديد الحزام
٦- أروع للـــــدعوة مستعجـــل ... لم يثنه الشـــان خفيف القيام

في الأبيات نلحظ الشاعر وقد رسم صورة للخمر متعددة الأجزاء ، ففي الأبيات من الأول إلى الثالث يصور جمال محبو بته ورقة فاها الذي يشبه ذلك الغدير العذب الكائن في بطن الجبـــل وقـــد حافظ ظله على برورة الماء في العين كما أن الحجارة المتراصة تعمل على جمال انسياب الماء في الغدير. ثم ينتقل الشاعر إلـــى جزئية أخرى من الصورة تتناسب مع جمال الجزئيـــة الســـابقة وهى تصوير جمال الثغر بجمال الخمر وصفاءه . وقـــد مـــزج الشاعر بين عوامل الجمال ومصادره في الصورتين ، فجمـــال الفم الحيوية من حيث النظر إلية

---

١ ديوان حسان/١٨٥

يشبه جمال الثغر ، كما يشبه من ناحية الدقة والعذوبة جمال الخمر،ثم استطرد الشاعر في رسم صورا أخرى مستوحاة من واقع الحياة الجاهلية ، فوصف الخمر في ذاقها ثم وصف أثر الخمر في جسم شاربها حيث صور ما تحدثه الخمر من نشوة وهى تصيب كل أجزاء الجسم بصورة النمل الصغير وهو يسير على الرمل المستوى اللين كما في البيت الرابع ، وهذه صورة تعكس ومع الصورة الثابتة صورة الحركة والإحساس بها ، وفى البيت الخامس والسادس يصور الشاعر الساقي الذي يدور على المجلس بالخمر

ومن الصور التي انعكست فيها حالة جاهلية قول حسان في الخمر – أيضا :([1])

ولسنا بشرب فوقهم ظل بردة يعدون للحانون تيسا ومفصدا

في البيت يحكى الشاعر صورة من الواقع الجاهلي فقد كان العرب تشق دم عرق التيس ليخرج دمه ثم يقومون بتسخينه ليأكلوه وكان ذلك في الجاهلية . ومن الواقع الجاهلي – أيضا – يستدعى الشاعر صورة الساقي ، فيرسم هيئته وهو يحمل الخمر يقول : ([1])

وذي نطف يسعى ملصق خده بديباجة تكفا فُها قد تقددا (٢)

---

١ ديوان حسان /١٥١

٢ الديباجة/ المراد بها هنا المناديل، وأصلها الثياب المتخذة من الابريسم

البيت يصف هيئة الساقي في الجاهلية ، فقد كان يصنع على وجهه قطعا من الثياب خوفا من أن يصيب الشراب من أنفه أو فمه شيئا يكرهونه.

ومن الصور التي تأثر بها حسان في الجاهلية من خلال رحلاته إلى إمارة الغاسنة ، قوله وهو يصف الولائد (١) وهن يزين لاستقبال عبيد الفصح عند النصارى . يقول:

قددنا الفصح فالولائد ينظم ... ن قعودا أكله المرجان
يجتبين الجادى في نقب ... الربط عليها مجاسد الكتان
لم يعللن بالمغامر والصم ... غ ولا نقف حنظل الشريان

الأبيات كما هو ظاهر – تصف هيئه الجواري وهن يستقبلن عيد الفصح – وكان ذلك في جاهلية حسان– وفيه ينشغلن بنظم التاج الذي يزينه عقود المرجان والحلي، وهذه الصورة مع حسن منظرها استدعى فيها الشاعر حاسة الشم فجعل بجانب حسن المشهد وجود الزعفران برائحته الزكية ، ويبدو في الصورة أن الشاعر كان يفضل هيئة المرأة التي تعيش في الحضر والأمصار على المرأة البدوية وهى مغايرة لصورة المرأة في الغاسنة حيث إن البدوية تنشغل بجني الصمغ وكسر الحنظل لاستخراج ما فيه ومن الصورة التي وردت كثيرا على السنة الشعراء في الجاهلية، صورة الليل فقد جاء ت في شعر النابغة وامرئ القيس وغيرهما ، ولعل تصوير الشعراء الجاهلين حيث

---

١ الولائد: جمع وليدة وهى الجارية الحسناء

الصحراء المحيطة بالإنسان والليل المظلم الأمر الـذي جعـل الإنسان يطيل النظر في السماء يراقب النجوم وهـو يريـد أن تزول ليأتي النهار فإذا بها ثابتة باقية في السماء .

يقول في ذلك حسان :([1])

تطاول باخمان ليلى فلم تكن تهم هو أدى نجمه أن تصوبا
أبيت أرعيها كأني موكل بها ما أريد النوم حتى تغيبا
إذا غار منها كوكب بعد كوكب تراقب عيني آخر الليل كوكبا

ومن الصور التي وردت بكثرة – أيضا في شعر الجاهلين، وصف الشعر للأطلال وبقايا الدور، وقد كان ذلك من عادتهم حيث كثرة الترحال من مكان إلى لأخر " والمرور خلال هذه الرحلة على ما خلفه القوم وراهم من أثر يدل على سابقة عيش أو حلول بالمكان .. وقد تكون هذه البقايا غير ذات شأن من الناحية المادية، فهي لا تعدو أن تكون رمادا تخلف عن النار التي كانت توقد بالمكان أو أحجار (أثافي) كانت تحمل عليها أواني الطهي أو تسند بها أعمدة الخيام .... ولكن لها في المقابل قيمة كبيرة لدى الشاعر ، فهي بقايا الذكرى ، ودليل الحياة " ([2])

ومن ذلك قول حسان :([3])

لمن منزل عاف كأن رسومه خياعيل ريطٍ سابري مرسم (٤)

---

١ ديوان حسان/١٤٨

٢ د.كاظم الظواهري . المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي/٤٦ دار الهداية– طبعة أولى ١٤٣١ه– ٢٠١٠م

٣ ديوان حسان/١٨٠–١٨١

٤ الخياعيل: نوع من الثياب غير مخيط،ربط: ثياب لينة

خلاء لمبـادئ مابـه غير ُركد ثلاث كأمـثال الحمـائم جثم
وغير شحيح ماثل حالف البلى وغير بقايا كالسحيق المنمنم

ومن صور حسان الجاهلية ، قوله مصورا المرأة الجميلة وقد رآها العابد الناسك فكيف تكون عندها صورته . يقول :([1])

بيضاء لو مرت بذي نسك يتلو الزبور يلـوح في الزبـر
متبتل عـن كل فاحشة سكن الصوامع رهبته الوزر
لرأيته جيران يذكرهـا تحتـار رؤيتها علـى الذكر

في الأبيات نلحظ حسان يصور حال الناسك في صومعته وقد مرت عليه المرأة الجميلة فهو عندها يحتار وتتبدل أحواله حتى تصبح هي المسيطرة على الذكر لديه ولا شك أن هذه الصورة جاهليه وردت في شعر حسان قبل الإسلام

مما سبق نلحظ أن الصورة التي جاءت في شعر حسان الجاهلي تعبر عن مدة من الزمن عاشها الشاعر قبل الإسلام وتأثر بها ، فرسم في شعره منهما صورا وأحداثا ، فعلى سبيل المثال عرضنا صورا للخمر في شعر حسان ولاعزابة في ذلك ، فقد احتلت الخمر عند شعراء الجاهلية لاسيما شعراء المدينة مكانة ملحوظة حيث وجود مصادرها التمور والأعناب وهى من الغلال المتوفرة في يثرب ، كما أن وجود اليهود فيها أثر في انتشارها بين أفراد المجتمع اليثربي ([2])

---

١ ديوان حسان/١٩٠

٢ ينظر المدينة في العصر الجاهلي/ ٨١

* ثانيا : مصادر الصورة في شعر حسان الاسلامى

تشكلت الصورة الشعرية عند حسان بن ثابت بعد الإسلام بتأثره في غالب شعره بالدين الجديد الإسلام) وليس ذلك ببعيد على شاعر هو شاعر الرسول – صلى الله عليه وسلم– فقد كان الشاعر الأول الذي حمل لواء الدفاع – بالكلمة والشعر – عن الرسول – صلى الله عليه وسلم([1])

ومن ذلك قوله في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم ([2])

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند

في البيتين نلحظ تصوير الشاعر للنبي – صلى الله عليه وسلم – بالشمس في انبعاث الضوء منها ، وإمداد الأرض بالنور والنفع – ورسول الله – صلى الله عليه وسلم– أعلى منزلة وأكثر نفعا – من هذا المعنى السابق ، حيث جاء في قوله تعالى:

(وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) أي مثل السراج الشمس، فرسول الله – صلى الله عليه وسلم– يهتدي به ،كما أن الشمس أو المصباح يكشف ظلمة الليل

وفى قصيدة أخرى ، يشبه الشاعر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالهلال :

يقول:([1])

---

١ ينظر البحث نفسه /

٢ ديوان حسان/٣٣٩

متكرما يدعو إلى رب العلا بذل النصيحة رافع الأعماد
مثل الهلال مباركا ذا رحمة سمح الخليقة طيب الأعواد

يعكس لنا الشاعر صورا من صور الفداء والطاعة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –

يقول:([2])

١-كأنهم في الوغى والمـــوت مكتنع أسد لبيشة في أرساغها فدع (٣)
٢- أعطـوا بني الهدى والبر طاعتهم فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا
٣- نسموا إذا الحـرب نالتنا مخالبها إذا الزعاف من أظفارها خشعوا
٤- إذا نصبنا لقـــوم لا نـدب لـــهم كما يـدب إلى الوحشية الزرع

نلحظ في الأبيات تصوير الشاعر للصحابة وهم يقدمون أنفســهم فداءا للدين بأنهم عند لقاء العدو وفى ساحة المعركة حيث وجود الموت وكأنه ماثل أمامهم ، نزاهم أسودا لا يهابون ذلك المــوت ،وهذه الصورة الدالة على مطلق الفداء تشكلت من خلال تقــديم الطاعة والولاء للنبي– صلى الله عليه وسلم – ونلحــظ الفعــل(أعطى) في مطلع البيت الثاني ويجســد الــولاء وكأنــه شــئ محسوس يرى ويلمس ، وفى البيت الثالث نلحظ هــذا الجانــب الراقي والإبداع الصافي من الصورة حيث أظهر الشاعر الحرب في صورة الوحش صاحب المخالــب الفتاكــة، وقــد التهمــت أصحاب الهمم الدنية ومن لاخير فيهم من الناس ، أما نحــن – المسلمين – فإننا لا نصاب بالجبن والهوان ، ولا مكان لوجــود

---

١ ديوان حسان /٣٣٨

٢ ديوان حسان /٣٣٩

٣ مكتنع : دان قريب ، بيشة : موضع تنسب إليه الأسو د، الفدع : عوج وميل في المفاصل

الدنية بيننا ، وقد أكد الشاعر هذه الرؤية في البيت الرابع ، فالصورة المعروفة عن المسلمين في حروبهم ضد عدوهم لا نرى فيها موضع لخيانة، ولا نلحظ فيها جانبا من التشفي أو الاهانه . وبالملاحظة وجدنا هذه النظرة أو الرؤية متأثرة بأخلاق الإسلام وتعاليمه، وإلا فالشاعر نفسه هو القائل في الجاهلية عند حديثه عن الحرب ([1])

بالله جهدا لنقتلنكم قتلا عنيفا والخيل تنكشف

ويقول في موضع آخر : ([2])

نتيح حمى ذي العز حين نريده ونحمى حمانا بالوشيج المقوم
ونحن إذا ما الحرب حل سرارها وجادت على الحلاب بالموت والدم

في البيتين جعل الشاعر للحرب صرارا كصرار الناقة، فإذا حل صرارها حلبت دمًا كما تحلب الناقة اللبن.

وقال حسان في تصوير شجاعة الصحابة يوم بدر ووفائهم لرسول الله– صلى الله عليه وسلم :([3])

وفو يوم بدر للرسول وفوقهم ظلال المنايا والسيوف اللوامع

في البيت صور الشاعر الموت في صورة محسوسة لها آثار مادية حيث إن الموت يحتوى المكان وينشر فيه ظله، وهذا الظل كائن فوق الرؤسى مما يدل ويظهر في الصورة شمولية الموت للمكان من كل جوانبه، وفى هذا المشهد المسيطر عليه ظلال

---

١ ديوان حسان/٣٣٧

٢ السابق/١٨٣

٣ ديوان حسان/٢٤١

الموت تتلاقى السيوف اللامعة، وفـــى قلـــب الصـــورة نلحـــظ المسلمين واقفين غير راهبين الموت، وذلك وفاءا لما عاهـــدوا عليه الله ورسوله– صلى الله عليه وسلم – من الطاعة والنصرة.

ومن الصور البديعة التي رسمها الشاعر متأثرا بمنهج الإسلام ، صورة الأخوة وما تبنيه في النفس من معان راسخة وعواطـــف جياشة، فالصاحب في خيال الشاعر هو البدر ينير لمـــن حولـــه الطريق فإذا فارق الأخ أخاه فقد فارق البدر موضـــعه وغـــاب.

يقول الشاعر في ذلك:([1])

كم من أخي ثقة محض مضاربه فارقتـه غير مقلـي ولا قـــالي
كالبدر كان على ثغر يسد به فأصبح الثغر منه فرجه خالي

في البيتين يعكس الشاعر صورة لأثر الأخوة وارتباط الإنســـان بصاحبه، وكيف يكون الفراغ الذي يتركه الأخ عند فراق أخيه ، فهو كالبدر عندما يغيب عن مكان ما يتركه يعج بالظلمة.

مما سبق نلحظ أثر البيئة في تشكيل الصـــورة حيـــث رســـمها الشاعر من خلال إيمانه القوى بالدين الاســـلامى ، وارتباطـــه الشديد بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فلم نجد له شعرا يصف فيه الخمر كما كان في الجاهلية ، ولم نجده يبرز صورة الانتقام البطش في رسم صور الحرب وهيئتها، الأمر الذي جعل تعاليم الإسلام وسماحته تظهر في الصورة الشعرية .

---

١ ديوان حسان/١٤٧

الفصل الرابع
خصائص مطلع القصيدة في شعر حسان بن ثابت

أولا: خصائص المطلع في شعر حسان الجاهلي

لمطالع القصائد في الجاهلية شأن خاص وعناية من الشـــعراء ، فقد كان الشاعر يعد لكل قصيدة مطلع أو مقدمة يمهد بها للدخول في الغرض الأساسي للقصيدة وعادة ما كانت المطـــالع حـــديث الغزل أو الخمر أو الحديث عن الأطلال والبكاء عليها

وبدراسة شعر حسان الجاهلي والوقوف على معالمه وجدنا أنـــه اتبع هذا المنهج نفسه في قصائده ، في غالب شعره نلحظ وجود هذا المطلع الذي يمهد به عادة للموضوع الأصلي للقصيدة، ففي قصيدة قالها حسان في الفخر نجده يبدأ بمطلع غزلي فيقول:([1])

الـم تـذر العـين تسهـــادها ... وجرى الدموع وانفادها
تذكـر شعثاء بعد الكـــــرى ... وملقى عراض وأوتادها
إذا لجـب مـن سحـاب الربيع ... مـر بسـاحتها جـــادها
وقامـت تـرائيك معـــــدودنا ... إذا مـــا تنـوء بـه آدها
ووجها كوجه الغـزال الربيب ... يقـرو تـلاعا وأسنـادها

في الأبيات يتذكر الشاعر محبوبته عند رؤية ديارهـــا ، فوقـــف واصفا سهده ، ودموعه المنهمرة ، فهو لا يكف عن ذكرها ثم اظهر الشاعر إعجاب الشديد بجمال شعرها الكثيـــف ، وبـــراءة وجهها الذي يحكى وجه غزال وبيت يرعى الأعشـــاب اليانعـــة التي هطلت عليها أمطار غزيرة فبدت في أبهى صـــورة وفـــى

---

١ ديوان حسان/١٠٢

القصيدة التي يرد فيها حسان على قصيدة أبـــى قـــيس([1]) أخـــو حصين بن الأسلت الذي قتل في يوم (خطمه) نجد حسان يبـــدأ قصيدته بمقدمه غزلية قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أبيات ، ولعلـــى قصر المقدمة يعود إلى إحساس الشاعر بضرورة السرعة فـــي الرد، الدخول في الموضوع الأصلي يقول :([2])

بانت لميس بحبل مـــنك أقطاع واحتلت الغمر ترعى دار أشراع
وأصبحت في بني نصر مجاورة ترعـى الأبـاطح فـي عز وامراع
كأن عيني إذا ولت حمولـــهم في الفجر فيض غروب ذات أتراع

في هذه المقدمة الغزالية نلحظ الإشارة الخفيفة إلى لحظة الوداع ، وموقف النفس منها.

ومن مطالع حسان الطللية قوله في القصيدة التـــي مـــدح فيهـــا الغاسنة، وافتخر بنفسه:([3])

أسـألت رسم الدار أم لـــم تسأل بين الجوابـي فالبضيع فحومل (٤)
فالمرج مرج الصغيرين فجاسم فديـــار تبنـى در سـالم تحـــلل
دمـــن تعاقبها الـريـــاح دوارس والمد جنات من السماك الأعزل
فالعين عانيه تفيض دمـــوعها لمنازل درست كـأن لـم تـؤهل

ومن المطالع الطللية– أيضا – قوله في قصيدة – يفخـــر فيهـــا بقومه :([5])

لمن منزل عـــاف كـــأن رسـومه خياعيل ريط سابري مرسم

---

١ مطلع قصيدة بن الأسلت

قالت ولم تقصد لقيل الخنى مهلا فقد أبلغت أسماعي

٢ ديوان حسان/١٣٥

٣ ديوان حسان/١٢١

٤ الجوابي: المقصود بها جابية الجولان وهى قرية بالشام

٥ ديوان حسان/١٨٠

خلاء المبادئ مابه غير راكد ثلاث كأمثال الحمائم جثم (١)
وغير شجيج ماثل حالف البلى وغير بقايا كالسحيق المنمنم
تعل رياح الصيف بالى هشيمه على ماثل كالحوض عاف مثلم
كسته سرابيل البلى بعد عهده وجون سرى بالوابل المنهزم

نلحظ في النصين السابقين أنها يمثلان المطلع الطلي عند الشاعر لكن أثر المطلع النفسي لدى الشاعر مختلف ففي النص الأول نلحظ تأثر الشاعر النفسي بالطلل لأمر الذي انعكس ببكاء الشاعر على ديار خلت من أهلها ، أما النص الثاني فلم يزد الشاعر على براعة الوصف لما تقع عليه عينه وصفا دقيقا مستخدما ألفاظ من البيئة الجاهلية ولعل ذلك يعود إلى إحساس الشاعر بصلة القراية من ملوك الغاسنة فوجد نفسه في ذلك الطلل كما في القصيدة الأولى

كما نلحظ أن المقدمة الثانية مزجها الشاعر بالغزل وذلك قبل الحديث عن الفخر يقول بعد المطلع الطللى (٢)

فان تك ليلى قدنأتك ديارها وضنت بحاجات الفؤاد المتيم
وهمت بصرم الحبل من بعد وصله وأصغت لقول الكاشح المتزعم
فما حبها بالرث عندي ولا الذي يغيره نأى ولو لم تكلم
وما حبها ما وكلتني بوصله وان صرم الخلان بالمتخذم
لعمر أبيك الخير ما ضاع سركم لـ دى فتجزيني بعادا وتصرمى
وما ضقت ذرعا بالهوى إذ ضمنته وما كظ صدري بالحديث المكتم
وما كان ما قد شـ،اع مما تقولوا عنى ونثوا غير ظن مرجم (٣)

---

١ غير راكد ثلاث: المراد بها هنا الأثا في وهى ما بقى من منازل القوم، أو هي أوتاد الخيام وفى البيت شبه الشاعر الأثا في وهى جامدة بثلاث حمامات جاثمة

٢ ديوان حسان/١٨٢

٣ النث: نشر الحديث وإذاعته

فـان كنـت لما تخبرينـــا فسائلي ذوى العلـم عنـاكـى تنبي فتعلمـي
يخبرك عـن أولاد عمـرو بن عامر خبيرة ومــن يسأل النـــاس يعلم
متـى تسألـي عنـا تنبـــى بـأنن كــرام وأنــا أهل عـــز مقـدم

نلحظ أن مقدمه هذه القصيدة تناولت الحديث عن الطلل ثم انتقل الشاعر إلى الحديث عن الغزل وذلك قبل الدخول في الغــرض الأساسي من القصيدة وهو الفخر ، فالمقدمــة طلليــة غزليــه استطاع الشاعر فيها أن يحسن التخلص والخروج إلى الغــرض الأساسي وهو الفخر وذلك بالانتقال من حديثه عن الغزل إلــى الفخر ممن يقرأ القصيدة يدخل في أبيات الفخر دون أن يــدرى كيف انتقل الشاعر هذه النقلة وذلك واضح في البيت الأخير من المقدمة

ومن المطالع التي وردت في شعر حسان الجــاهلي ، المطلــع الظعنى ، وللشاعر قصيدة في الفخر يستهلها بهذه المقدمة، عندما يطلب مــن خليلــة أن يعكــس لــه الصــورة والحــال فــي (باب جلق) علها تأتى على هوى الشاعر ، ثم يتخيل أن قافلة فيها حبيبته (شعثاء) قد هبطت من (المحبس) ([1]) تعلو وتهبط في الطريق يظل حسان مراقا القافلة حتى تمر ببصري في الشام يقول:([2])

انظــر خليلــي ببــاب جلق هــل تؤنس دون البلقاء مــن أحد
أجمـال شعثاء قـد هبطن من الم حـــبس بين الكثبان فالسند

---

١ المحبس: اسم مكان

٢ ديوان حسان/١٤٩

يحملـن حورا حور المدافع في الر يط وبيض الوجوه كالبرد
من دون بصري ودونها جبل الثلج عليه السحاب كـالقـــــدد

في الأبيات السابقة يصف الشاعر طريق الظعائن ، وما مرت به من بلاد وما تحمله القافلة من جواري وإيماء حسنة المظهـــر ، وعلى الرغم من أن مطلع القصيدة ظعني إلا أننا نلحظ وجـــود الغزل فيها يأتي بعد الأبيات السابقة يقول:([1])

أنـــى ورب المخيســات ومـــــا يقطعن من كل سربح جدد(٢)
والبـدن إذا ُقـربت لمنحـــرها حلفـةَ بـــر اليمين مجتهـد
ما حلت عن خير ما عهدت وما أحببت حـبي إيـاك من أحد

في الأبيات يقسم الشاعر برب الإبل ، وهـــى المســتخدمة فـــي المقطع السابق كعنصر من عناصر المقدمة الطعنية، بأن حبـــه ووفائه لمحبوبته باق لم يعتريه نقص دلا وهن .

مما سبق نلحظ اهتمام حسان بن ثابت بمقدمات ومطالع قصائده الجاهلية وقد تنوعت المطالع فى شعره ،ما بين طلليه وغزلية ، والطلية الغزلية، والطعنية الغزلية، وفى كل يحـــاول الشـــاعر التعبير عن عواطفه ومشاعره وهو متأثر بطريقة شعراء عصره ومنهجهم في عرض قصائدهم الشعرية

<u>ثانيا:خصائص المطلع في شعر حسان الاسلامى</u>

غابت المقدمات في غالبية الشعر في عصر صدر الإسلام ، وإذا استخدمت فإنها أتت موجزة بل لقد اقتصرت القصيدة في ذلـــك

---

١ ديوان حسان/١٥٠

٢ المخيسات: الإبل المذللة من خيس الدابة ذللها. سربح: الأرض الواسعة بعيدة الأرجاء

العصر على الموضوع الواحد ويبدو ذلك من أثر الاسلام في نفوس الشعراء حيث إن العواطف في الغالب كانت تتجه إلى البحث عن موقف ايمانى موحد حتى أو شكلت الوحدة العضوية أن تسود الشعر الاسلامى ، وقد وجدت ذلك في شعر حسان الإسلام بوضوح ، ومن ثم يمكن القول : بأن المطلع التقليدي الذي كان يسود في شعر حسان الجاهلي قل إلى حد كبير ودرجة ملحوظة في شعره الاسلامى بالإضافة إلى ظهور بعض المقدمات المستحدثة التي كان للإسلام أثره المباشرفى وجودها ، وسوف نعض أولا بعض القصائد التي خلت من المقدمة دلالة على ما نقول فمنها قول حسان في الفخر([1])

الله أكرمنا بنصر نبيه وبنا أقام دعائم الإسلام
وبنا أعز نبيه وكتابه وأعزنا بالضرب والإقدام
في كل معترك تطير سيوفنا فيه الجماجم عن فراخ الهام

وقال في غرض المدح :([2])

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعو
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقوله في مدح الزبير بن العوام :([3])

أقام على عهد النبي وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم محجل

---

١ ديوان حسان/١٤٣

٢ السابق/٢٣٨

٣ ديوان حسان/٢٩٤

وقال في الهجاء:([1])

وما طلعت شمس النهار ولا بدت عليك بمجد يابن مقطوعة اليد([2])

أبوك لقيط ألأم النـاس كلـــهم تبنى عليك اللؤم في كل مشهد

إذا الدهر عفي في تقادم عهــده على لؤم يوم كان لؤمك في غد

في النصوص السابقة نلحظ إتيان الشاعر بالغرض الأساسي من القصيدة، ومقصوده من إنشاءها دون التمهيد لـذلك بمطلـع أو مقدمة تقليديه كما كان الحال في العصر الجاهلي . ففي الـنص الأول يفخر الشاعر بالإسلام والانتساب إليه، وفى النص الثاني والثالث وهما في غرض المدح الأول فيها يمدح الشـاعر بـه صاحبه رسول الله– صلى الله عليه وسلم بذكر أخلاقهم وإبـراز صفاتهم التي أودعها الإسلام فيهم ، والثاني يمدح فيـه حسـان الصحابي الجليل الزبير بن العوام – رضي الله عنه – والـنص الرابع في غرض الهجاء وهو في هجاء (أبى البحتـري) بـن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وقتل يوم بـدر كـافرا والنص يمثل وحدة كاملة مستقلة

وكما قل استخدام المطلع التقليدي في عصـر صـدر الإسـلام ودخول الشعراء مباشرة في موضوع القصيدة تـأثرا بـالمنهج الاسلامى نجد كذلك استحداث بعض صور من مطالع ومقدمات

---

١ السابق/١٥٦

٢ كان يهجو أبا البحتري بن هاشم ابن الحارث ابن أسد . بنظر السابق/١٥٦

مستحدثه بقوة التأثير والتأثر ، ومن ذلك على سبيل المثال بداية القصيدة بالدعاء . يقول حسان:([1])

لك الخير غض اللوم عنى فاننى أحب من الأخلاق ما كان أجملا
ذريتي وعلمي بالأمور وشيمتي فما طائري فيها عليك بأخيلا

نلحظ فى المطلع بداية الشاعر بعبارة(لك الخير) وهى دعاء افتتح به القصيدة التي مضمونها الفخر بالنفس بذكر الفضائل الأخلاق وإتباع النبي- صلى الله عليه وسلم

ومن المطالع المتحدثة أيضا بداية القصيدة بمطلع الترحم على الشهداء ونجد ذلك في قصيدة يفخر فيها بأهل بدر.يقول:([2])

ألا ياقوم هل لما حم دافع وهى ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصرا قد مضى فتهافتت بنات الحشا وانهل منى المدامع
صبابة وجد ذكرتنى أحبة وقتلى مضوا فيهم نفيع ورافع

كذلك نجد في شعر حسان قصائد تبدأ بالنصح والإرشاد كما في قوله:([3])

أعرض عن العوراء إن أسمعتها واقعد كأنك غافل لا تسمع
ودع السؤال عن الأمور وحفرها فلرب حافر حفرة هو يصرع

ويبدوفى شعر حسان أنه ترك بعد إسلامه بكاء الأطلال وشعر الغزل في مقدمات قصائده عن قصد ودارية ، كذلك ترك

---

١ ديوان حسان/٢٧٢

٢ السابق/٢٤١

٣ السابق/٢٧٨

الحديث عن الخمر ووصف مجالسها والدليل على ذلك قوله يوم الخندق:([1])

عرفت ديـــــار زينب بالكثيب كحظ الوحي في الـــــرق القشيب
تعاورها الريـاح وكـل جــون من الو سمـــى منهمر سكوب(٢)
فأمسى رسمها خلقا وأمست يبابــا بعــد ساكنها الحـــــبيب
فدع عنك التذكر كل يـــــوم ورد حــرارة الصــــــدر الكئيب
وخبر بالــذي لا عيب فيـــه بصــدق غير إخبـــــار الكذوب

في النص نلحظ حديث الشاعر عن الديار وأهلها وما أصابها من البلى والقدم بعد أن أخلت من أصحابها ، ثم يرفض كــل ذلــك ويدفعه عن ذهنه فقد وجد فى غيره النفــع والصــدق والأحــق بالحديث والقول فيه ، وكأن الشاعر يقدم هذه المقدمة الطلليه في عجالة سريعة ليس على سبيل التقديم للقصيدة بقدر الإفصاح عن منهجه الجديد في إنشاء قصائده والدليل الثــاني علــى رفــض الشاعر للمطالع التقليدية التي اعتادها في العصــر الجــاهلي ، قوله:([3])

زادت همـومي فمـاء العين ينحدر سحــا إذا غرقته عـــبرة درر
وجدا لشعثاء إذ شعثاء بهــكنة حوراء لادنس فيها ولا خور(٤)
دع عنك شعثاء إذ كانت مودتها نزرا وشر وصال الواصل النزر
وأت الرسـول فقـل ياخير مؤتمن للمـؤمنين اذاما عـــدل البشر

---

١ السابق/١٣٤

٢ الجون: السحاب الأسود ، الو سمى: مطر أول الربيع

٣ ديوان حسان/٢٠٦

٤ البهكنة: هي الجارية الخفيفة الروح، الطيبة الرائحة المليحة

في المطلع نلحظ حديث الشاعر عن شعناء زوجته، وقد ذكرها في شعره الجاهلي كثيرا وذلك في مطالع العديد من قصائده ، كما ذكر معها الخمر واصفا مجالسها وسقاتها، أما هنا فالشاعر يذكرها إثباتا لرفضه المنهج التقليدي الذي اعتاده في الجاهلية حيث كانت مقدمان قصائده تفتتح بالحديث عن الأطلال أو المرأة والرحلة والمحبوبة . وقد أفصح الشاعر عن منهجه الجديدة وعواطفه التي تحولت بعد الإسلام إلى رحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- حيث امتلاء مشاعره بالدين الاسلامى .

ومما يؤكد ذلك – أيضا – قول حسان رافضا الخمر كارها لها ، بعد أن كان في الجاهلية يعدها من المكارم الفضائل ([1]) يقول:([2])

والشرب لا تدمن وخذ معروفه تخرج صحيح الرأس لا تتصدع

مما سبق نلحظ التأثير الواضح للإسلام في مقدمات ومطالع القصيدة في شعر حسان بن ثابت

---

١ ينظر البحث نفسه /

٢ ديوان حسان/٢٧٨

الفصل الخامس
أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في شعر حسان

أولا: أثر القرآن الكريم في شعر حسان

تأثر الشعر العربي بالإسلام في شكله ومضمونه ، ومن مظاهر ذلك ما نجده في تأثر الشعراء بالقرآن الكريم ، خاصة وأن القرآن الكريم تحدث عن الشعراء قوله تعالى﴿ **وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ ([1]) ففي الآيات توضيح وتفصيل لمنهج الإسلام في الشعر وما ينبغي أن يكون عليه الشاعر المسلم من سلوك وما يقوله من مضامين. بالنظر في شعر حسان نلحظ أثر الإسلام فيه جليا واضحا لاسيما أثر القرآن الكريم فهو أكثر وضوحا في أسلوب الشاعر ومعاينه

ومن ذلك قول حسان ذاكرا غزوة الأحزاب وما كان فيها من نصر للمسلمين وتأييد الله – تعالى– للرسول – صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين ، وقد ضمن الشاعر أبيات بعض ما ورد فى سورة الأحزاب من هذا الشأن . يقول :([2])

---

١ سورة الشعراء/ من الآية ٢٢٤ إلى الآية٢٢٧

٢ ديوان حسان /١٢٠

١- آمـو بغزوهم الرسول وألبـوا أهـل القرى وبوادي الأعراب
٢- جيش عيينة وابن حرب فيـــهم متخمطين بحلبة الأحـزاب (١)
٣- حتى إذا ورد و المدينة وارتجو قتل النبي ومغنم الأســـلاب
٤- وغدوا علينا قادرين بأيـــدهم ردوا بغيظهم علـــى الأعقاب
٥- بهبوب معصفة تفرق جمـــعهم وجنـود ربك سيـــد الأربـاب
٦- وكفى الإله المؤمنين قتـــالهم وأثابهم في الأجـــر خير ثـواب
٧- من بعد ما قنطوا ففرج عنـهـم تنزيل نص مليكنا الوهـــاب

في النص نلحظ أثر القرآن الكريم جليا علـــى معاينـــه إذ تـــأثر الشاعر بقوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾ (٢) كمـــا تأثر في السورة نفسها بقوله تعالى ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** ﴾ (٣)

وفى البيت الرابع نلحظ تأثر الشاعر بقوله تعـــالى فـــي ســـورة القلم﴿ **وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**﴾ (٤)

وفى البيت السابع نلحظ الإشارة في الشطر الثاني إلـــى قولـــه تعالى ﴿ **مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**

---

١ عيينة : هو بن حصن بن حذيفة بن بدر الغفارى كان يقود غطفان في غزوة الخندق ،أسلم بعد الفتح وقبل قبله

٢ الأحزاب/ آية٩

٣ الأحزاب/٢٥

٤ سورة القلم /٢٥

فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ([1])المعنى أن الله تعالى – ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك، ويطمع فيه ، ويغيظه أنه يظفر بمطلوبة فليستقص وسعه، وسيتفرغ مجهوده في أزاله ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ الغيظ منه الغيظ كل مبلغ حتى مدحبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر وليتصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيطه وفى موضع آخر نلحظ تأثر الشاعر بسورة الفاتحة إذ يقول :([2])

١- تعاليت رب الناس عن قول من دعاسواك الها أنت أعلى وأمجد
٢- لك الخلق والنعماء والأمر كله فإياك نستهدى وإياك نعبد

ففي البيت الثاني نرى تأثر الشاعر في الشطر الثاني بقوله تعالى من سورة **الفاتحة** ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ وفى الشطر الأول من البيت نفسه نلحظ تأثر الشاعر بقوله تعالى : ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد...** ﴾ ([3])

---

١ سورة الحج/١٥

٢ ديوان حسان/٣٣٩

٣ سورة الروم/ آية٤

وفى موضع آخر من القصيدة ذاتها . يقول :([1])

١- نبي أتـانا بعـد يـأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
٢- فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيـل المهنـد

ففي البيت الأول نرى أثر القرآن الكريم في وصف الشاعر للنبي – صلى الله عليه وسلم – إذ عبر الشاعر باشتياق الإنسانية واحتياجها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في سورة المائدة قوله تعالى ﴿ **يـا أَهْلَ الْكِتَـابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ...** ﴾ ([2])

وفى البيت الثاني نرى استخدام الشاعر لعبارة(..سراجا مستنيرا..) وصفا للنبي – صلى الله عليه وسلم – وقد ورد ذلك في سورة الأحزاب.قال تعالى: ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** "([3])

وتعد قصيدة (إن الذوائب) التي مدح فيها حسان بن ثابت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وصحابته ،أكثر قصائده تأثراً بالقرآن الكريم ، ولعل ذلك يعود إلى مناسبة القصيدة ، فقد قالها حسان في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – ويرد فيها

---

١ ديوان حسان/٣٣٩

٢ سورة المائدة/١٩

٣ سورة الأحزاب/٤٦

– أيضا –على شاعر وفد تميم الزبر قان بن بـــدر التميمـــي ، وذلك ([1]) عندما وفدوا على رسول الله– صلى الله عليه وسلم – بعد فتح مكة ، وكان فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وقيس ابن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن زيد وعتبه بن حصن بن حذيفة، والأقرع بن حابس فاستأذنوا رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم في المفاخرة فأذن لهم فقام خطيبهم عطارد بن حاجب فألقى خطبته، ثم كان الرد عليه من ثابت بن قيس الخزرجـــى ، ثم قام شاعر وفد تميم فألقى قصيدته ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لحسان قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فقال حسان:([2])

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنه للناس تتبع

وفى هذه القصيدة نلحظ بوضوح أثر القرآن الكريم في أكثر من موضع ، ومن ذلك قوله:([3])

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

ففي البيت نلحظ تأثر الشاعر بقوله تعالى :([4]) ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾

---

١ بنظر شرح ديوان حسان/٢٩٦ وما بعدها

٢ ديوان حسان/٢٣٨

٣

٤ سورة الفتح /أية٢٩

كما نلحظ الائتناس بالقرآن الكريم في موضع آخر من القصـــيدة اذ يقول :([1])

١- لا يجهلون وان حـــاولت جهلهـم في فضل أحلامهم عن ذاك متسع
٢- أعفة ذكرت في الوحي عفتـــهم لا يطمعون ولا يـــرديهم الطمع

ففي البيت الأول نلحظ التأثر بقوله تعالى :([2]) ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قـــالوا سلاما** ﴾

وفى البيت الثاني نلحظ التأثر بقولـــه تعـــالى :([3]) ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾

كما نلحظ معاني القرآن الكريم في مواضع أخرى من القصـــيدة نفسها اذ يقول الشاعر :([4])

١- لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وان أصيبوا فلا خور ولا جـزع
٢- أعطوا نبي الهدى والبر طاعتـــهم فما ونى نصرهم عنه وما نزعوا
٣- إن قال سيروا أجد السير جهدهم أو قال عوجوا علينا ساعة ربعوا

في المقطع السابق نلحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم في أكثر من موضع ففي البيت الأول نجد معنى قوله تعالى في سورة الحديد

---

١ ديوان حسان/٢٣٨
٢ سورة الفرقان /آية٦٣
٣ سورة البقرة/آية ٢٧٣
٤ ديوان حسان/٢٣٩

:([1]) ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ .... ﴾

الآية وفى البيت الثاني والثالث نلحظ وجود معنى قوله تعالى

:([2]) ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ...

﴾ الآية إذا ففي هذه القصيدة نلحظ – كما أسلفنا – وضوع الأثر القرآني على معانيها اذ يتلمس الشاعر في غالب أبياتها معاني القرآن الكريم ،ولعل ذلك يعو – كما تقدم – إلى المناسبة التي قيلت فيها ، كما أن التوقيت الزمني له دور بارز فى اشتمال القصيدة على أكثر من معنى قرأني بالاضافه إلى أثر المنهج الاسلامى فهي قيلت بعد الفتح في الوقت الذي نزلت فيه غالبية آيات القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم – الأمر الذي زاد على أثره أثر الإسلام في نفوس الصحابة بمدارستهم القرآن الكريم على يد النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم لا عجب أن يظهر هذا الأثر بوضوح في شعر حسان بن ثابت شاعر الرسول – صلى الله عليه وسلم .

ثانيا: أثر الحديث النبوي في شعر حسان

وكما تأثر حسان بالقرآن الكريم في شعره نجده – أيضا– متأثراً في بعض شعره بالحديث النبوي ومن ذلك إشارته إلى موقف

---

١ سورة الحديد/ آية٢٣

٢ سورة الحشر/٧

سعد بن معاذ من يهود بني قريظة عندما حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – فيهم بعد غزوة الأحزاب ، وقد كان سعد من شهداء غزوة الأحزاب فقد رمى أثناء تلك الغزوة بسهم في أكحله وظل متأثرا بجراحه حتى سقط يهود بني قريظة في قبضة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمسلمين ، وعندها قامت الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا :يا رسول الله قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت ، وهم حلفاء إخواننا من الخزرج ،وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم فقال: ألا ترضون أن يحكم فيكم رجل منكم؟ قالوا: بلى فقال: فذاك إلى سعد بن معاذ . قالوا: قد رضينا... ثم بعث النبي – صلى الله عليه وسلم إلى سعد فلما انتهى إليه ، قال للصحابة: قوموا إلى سيدكم فلما أنزلوه قالوا: يا سعد إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك : قال : وحكمي نافذ عليهم ؟

قالوا : نعم. قال وعلى المسلمين ، قالوا : نعم .قال وعلى من ههنا. وأعرض بوجهه وأشار ناحية رسول الله إجلالا وتعظيما قال نعم: .قال فأنى أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال ،فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقد

حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .([1]) وفى ذلك يقول حسان ([2])

فأنت الذي ياسعـد أبت بمشهـد كـريم وأثـواب المكـارم والحمد
بحكمك فيَ حيي قريظة بالـذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمـك فيـهم ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد

وفى قصيدة أخرى يذكر حسان ما كان في يـوم بـدر بعـد أن انتصر المسلمون وقد أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يطرح قتلى المشركين ببدر في قليب ، ثم جعل رسول الله– صلى الله عليه وسلم – يناديهم بأسمائهم وأسماء أبائهم " يا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟" فانا قد وجـدنا مـا وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا"؟ فقـال عمـر: يارسول الله ما تكلم من أجساد لا أروح لها ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – " والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسـمع لمـا أقول منهم " ([3]) وعن ذلك يقول حسان :([4])

يناديهم رسـول الله لما قذفناهم كباكـب في القليب
ألم تجـدوا حديثي كان حقا وأمر الله يأخـذ بالقلـوب
فمـا نطقـوا ولو نطقوا لقالوا صـدقت وكنت ذا رأى مصيب

---

١ ينظر الرحيق المختوم صفى الرحمن المباركفورى / ٣١٥ –٣١٦ دار المؤيد ١٤١٧ه–١٩٩٧م

٢ ديوان حسان/١١٤

٣ الرحيق المختوم/٢٢٥

٤ ديوان حسان/١٣٥ –١٣٦

وفى قصيدة (إن الذوائب) الذي مدح فيها الشاعر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى قوله من القصيدة :([1])

سجية تلك منهم غير محدثه إن الخلائق فاعلم شرها البدع

في البيت نلحظ تأثر الشاعر بقوله صلى الله عليه وسلم–".. وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"

مما سبق يدل دلاله مباشرة على تأثر الشاعر بالإسلام إذ ظهر في شعر العديد من المظاهر الاسلاميه وذكر الكثير من الأحداث الوقائع التي مرت بها الدولة الإسلامية في عهدها الأول.

---

[1]

ثبت المراجع والمصادر

٤- سير أعلام النبلاء شمس الدين محمد بن أحد عثمان الذهبي – الطبعة الرابعة- مؤسسه الرسالة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م

٢- ديوان حسان بن ثابت- تحقيق د/ سيد حنفي حسين- دار المعارف ١٩٧٣

٥- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري – عبد الرحمن البرقوقى – دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠١هـ- ١٩٨١م

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة – عز الدين بن الأثير – دار الفكر ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠ م

٦- المدينة في العصر الجاهلي د. محمد العيد الخطراوى- مؤسسه علوم القرآن الكريم طبعة أولى ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م

٧- المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي د. كاظم الظواهري- دار الهداية طبعه أولى ١٤٣١هـ -٢٠١٠م

٣- الرحيق المختوم – صفى الرحمن المباركفورى – دار المؤيد ١٤١٧هـ -١٩٩٧م

خاتمة بأهم نتائج البحث

- يعد شعر حسان مصدرا من مصادر التاريخ الجاهلي والإسلامي إذ أن شعره يعكس صورة المجتمع الذي عاش عليه .
- ينتمي شعر حسان إلى الطبع لا إلى الصنعة ولعل ذلك من الأسباب الذي جعلت شعره يأتي أحيانا في غاية القوة وأحيانا يميل إلى الضعف .
- لم يهتم حسان في شعره الجاهلي بالمقدمات الطويلة التي اعتادها الشعراء الجاهليون في ذلك الوقت .
- نلحظ أيضاً في شعره سرعة الانتقال من غرض إلى آخر .
- اهتم حسان في الجاهلية بالفخر القبلي واندفاعه الشديد إلى إظهار العداء للمخالفين له ولقبيلته أما في الإسلام فقد اتسم الفخر بالموضوعية وكان الداعي له إظهار الإيمان بالعقيدة الإسلامية .
- اتسم شعر حسان في الإسلام بالرقة والعذوبة والتأثر بالقرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه.

- يعود ضعف الشعر عند حسان في الإسلام إلـــى كبر سنه وتركه لموضوعات كان ينظم عليها في الجاهليه ولم يكن السبب في ذلك يعود إلى ضعف فني.